

THE LIBRARIES  
COLUMBIA UNIVERSITY



GENERAL LIBRARY

DEC 28 1973



12





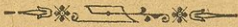
مسئله جبر

(الجمانة العثمانية)



﴿ نألف ﴾

( جرجس خولي )



( حقوق الطبع محفوظه للمؤلف )

---

( طبعه بالمطبعة العمومية بمصر سنة ١٣١٥ هجرية )

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## (المقدمة)

انني أفنح كلامي بالحمد لله الواحد الاحد الفرد الصمد  
الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . وبعد فلما  
كان خير الاعمال ما انصرف في سبيل خدمة الوطن ونبه  
الاذهان الى حيث تكمن الاضرار والرزايا رأيت على قصر  
باغي وقلة بضاعتي ان أطرق باب هذه الخدمة الكريمة  
مع من طرقه من ذوي الفضل لعلمي ان القيام بالمواجب  
الوطنية فرض واجب على كل فرد منا مهما كانت بضاعته  
مرجاة . ومعلوم ان فضلاء هذا العصر عندنا قد طرقوا  
لهذه الخدمة الجليلة أبواباً متنوعة جاءت البلاد بفوائد جزيلة



الا انهم حذوا في ذلك حذو افاضل المغرب فلم يهتموا  
 للدخول فيها من ابوابها الدينية . واذ كنا نحن الشرقيين  
 في حاجة شديدة الى تأييد اشياننا الدنيوية بادلة دينية لما  
 ان الاكثرين عندنا يابون الا تعليق أعمالهم كلها بالدين  
 كان الدخول في هاتيك الخدمة من ابواب دينية أقوى  
 على تنبيه الازهان الى الحقائق وأدعى الى الاصغاء . فلذا  
 لم أر بدأ من اسناد الكثير من مواضيع هذه الجمانة الى  
 براهين دينية فجاءت بحوله تعالى على وفق المراد يأنس بها  
 كل عماني على اختلاف الاديان والمذاهب . وقد بذلت  
 قصاري جهدي في جعلها رائعة الاسلوب طليعة المبحث  
 صريحة العبارة واضحة اللفظ بحيث يمكن للمطالع من  
 العامة ان يقرأها كلها دفعة واحدة بدون ملل وبدون ان  
 يتعذر عليه فهم شيء من معناها فهي من هذا القبيل أشبه  
 بالقصص التي يرغبون في قراءتها وهي على ما سيكون عليها

منهم من الاقبال والتهافت فلا تقصر عن جذب أنظار  
 الخاصة اليها . ذلك هو المقصود منها ان تقع لدى أبناء  
 الوطن موقع القبول على اختلاف الطبقات والدرجات .  
 على انها على بسط عبارتها وخلوها من التعقيد فهي  
 محتاجة الى التمعن فيها فقد تقرأ موضوعاً واحداً في مكان منها  
 ثم تأتي على نحوه في مكان آخر فيخال لك ان بينهما تناقض  
 والواقع غير ذلك لان غرض الجمانة واحد ولكنها لما  
 كانت صغيرة الحجم جامعة لمواضيع كثيرة ذات شعب متفرقة  
 مما يضيق عنه حجمها كان لابد من خيلة التناقض خصوصاً  
 وان لسكل مقام مقال فقد يستلزم الموضوع الواحد في  
 مكان كلاماً لا يستلزمه في مكان آخر . على اني قد جعلت  
 لها خاتمة أوضحت مواضعها بأسلوب وجيز صريح يمكن  
 المطالع من الوقوف على غرض الجمانة وفحواها بكل  
 سهولة فالذي يقرأها ثم يأتي على الخاتمة يجد فيها خلاصة



ماقرأه - هذا وقد بنيتها على خمسة مواضع كبرى تتعلق  
 بأحوالنا الشرقية مما لا بد لنا من الاهتمام به قاصراً بالبحث  
 على الأهم مما لدينا من ذلك بقدر ما احتمله المقام وسمحت  
 به شرائع البلاد. على أني قد أتيت فيها من باب الاستطراد  
 على بعض مباحث طفيفة لا أهمية لها في نفس الأمر إلا  
 أنها مع ذلك كبيرة الفائدة بالنظر إلى ما لدينا من أساطير  
 الأولين خصوصاً وقد لا يعدم الصغير الدلالة على ما هو  
 أكبر منه - أما مباحثها الدينية فهي على غاية ما يمكن من  
 الصراحة والاختصاص إذ ليس لي هنالك من غرض غير  
 القيام بما هو مفروض علينا كلنا . ولدى التأمل في تلك  
 المباحث يتضح للمطالع أن تعاليمنا الدينية على اختلاف  
 أدياننا لا تختلف من حيثية القيام بمواجب الدنيا وعليه فلا  
 يتأتى للغرض الديني أن يجد في هنالك مكاناً يأخذني منه  
 من حيث لا أدري لأنني لم أخرج في هاتيك المباحث عما

يتعلق بالاحوال الدنيوية وسيتضح كل ذلك لدى المطالعة  
 هذا وأرجو ان يكون مبحث الجمالانية باباً جديداً يدخله  
 الافاضل من المشاركة لانه اشد وقعاً في الاذهان ملتصقاً  
 من الله سبحانه ان يجعلها نافعة لابناء وطني خالصة لوجهه  
 الكريم وهو حسبي ونعم الوكيل .

هذا وان لنا بهمة وحكمة جلالة سيدنا ومولانا وولي  
 نعمتنا صاحب الخلافة العظمى أميرنا ومليكننا وسلطاننا عبد  
 الحميد الاعظم خير تقدم وفلاح . نسأل الله الكريم المنان  
 ان يحفظ لنا ذاته المقدسة الشاهانية وان يوطد عرشه  
 الاسنى ويؤيد شأنه الاسمى ويرفع بالعز والنصر أعلامه  
 اللهم آمين .



## (التحزب الديني واضرا لا)

ليس من آفة للفلاح أشد وطأة من التحزب الديني  
 ولا شيء أقوى على قلب أعمدة الهيئة الاجتماعية وتحزيبها  
 من الاميال المذهبية ولا احط بالرعية المتألفة من أديان  
 ومذاهب مختلفة وأدعى الى انقسامها وتحامل بعضها على  
 بعض من اتخاذ العصبية الدينية مركزاً تنتهي اليه الاعمال  
 فالويل لرعية هذا حالها فانها تسمى مطمعاً للامم الغريبة  
 اذ لن تنفك حليفة الضعف والتقهقر مهما كانت متذرعة  
 باسباب التقدم

ولأمر مقرر ان لاسبيل الى الجمع بين التمدن  
 الحديث وبين التعصب الملم بنا فحيث يكون الواحد منهما  
 لا يكون الآخر البتة فالشعب الذي يدعي التمدن ويتقسم  
 الى احزاب دينية ومذهبية بعضها ضد بعض يعد تمدنه

ضرباً من الحماسة والجهل ومن الغريب اننا على قرب نور  
 المعارف منا وتحلل أشعته بيننا فلا نزال خابطين في ظلمة  
 التعصب الوخيم حتى كأن على عيوننا غشاوة أو ان قلوبنا  
 مختوم عليها فلم نعد نفرق بين النور والظلمة

لا جرم ان مالدينا من الضغائن الدينية والمذهبية الباعثة  
 على انقسامنا الى فئات متعددة يفصلها التعصب الذي أودى  
 بكثيرين قبلنا في العصور الغابرة كما يشهد التاريخ يعد في  
 هذه الايام من العلل المهلكة التي تستوجب الاهتمام بما  
 يقطع جرتومتها تخلصاً من فتكها الذريع لان أقل ما في  
 التعصب انه يلقي النفرة التي من شأنها ان تززع أركان  
 المجتمع الانساني وقد قيل «لولا الوثام لهلك الانام» . ولا  
 يخفى ان لا تقدم ولا فلاح حيث لاهيئة وطنية تسمى وراء  
 المصالح العمومية كما يسعى كل فرد نحو مصلحته شأن التعصب  
 الجنسي المعمول به عند الامم المتمدنة الذي لا سبيل الى



الفلاح بدونه . فمن حماقه ثقافتنا عن هذا واستمرارنا  
 على ذلك القتال الذي أمات منا كل ذرة وطنية . والغريون  
 لم يظفروا بالاتحاد الجنسي حق الظفر الا بعد ان نبذوا  
 التعصب الديني وأغفلوه نسياً منسياً كأنه لم يكن شيئاً  
 مذكوراً . وليس القصد بنذ التعصب ترك الدين كما فعل  
 أكثرهم لان الدين لله وحده وهو الذي تبارك شأنه قد  
 وضعه مختلفاً فنحن لسنا مكلفين سوى للعبادة التي من  
 شأنها على اختلاف اساليبها دعوة الناس الى موافق الحب  
 والولاء

ومن عواندنا المستهجنة ان يسأل احدنا الآخر عن  
 دينه لغير سبب موجب وأقبح من ذلك ان يتساءل  
 مسيحيان عن مذهب كل منهما مع اننا والحمد لله كلنا نعبد  
 الله جل جلاله فليس بيننا من يعبد القمر أو الحجر وهب ان  
 هنالك من كان كذلك فماذا يعيننا ونحن في عصر قد خفقت

فيه رايات الاديان لاسيما ولسنا بمنذوبين الى الجهاد في  
سبيل الدين لان تلك النديبة انما خصت بالانبياء الكرام  
وومن قاموا باتمام الدعوة الدينية من بعدهم . ألسنا جميعنا  
نحن المستظلين بظل هذه الراية الحمراء التي نسأل الله ان  
يجعلها خافقة بالنصر رعية واحدة وجنساً<sup>(١)</sup> واحداً مهما  
اختلفت ادياننا ولغاتنا فكم أخرى بنا ترك هذا النفور  
والعداء والتمسك باسباب العز والمنعة الذين لا يتوفران الا  
بالانضمام والاتحاد وأيم الحق انه لقيح بنا جداً ان نكون  
من أبناء العصر التاسع عشر وفيما مثل هذه العوائد السمجة  
فما كان أجدر بنا لو نبذناها ظهرياً وعكفنا على التخرج في  
مخارج التمدن الصحيح لعلنا نغلق ابواب التحرش دون

(١) اننا ولئن كنا مؤلفين من لفيف مختلط فحن مسئولون  
ديناً وسياسياً عن الانضمام والاتحاد قضاء لمصالحنا الوطنية وقياماً  
بمحقوق الجنسية العثمانية بالنظر الى كوننا رعية دولة واحدة ايدها الله



أولئك الذين يتخذون هذه الاسباب وما شاكلها ذريعة  
 للتدخل في شؤوننا ناهيك مالدنيا من الافتقار اذاءهم  
 الى تعزيز الارتباط الجنسي والانضمام الى الجامعة العثمانية  
 والاصرنا الى مالا يحمده الاحفاد من بعدنا

لاجرم ان امراءاً يتخذ الغرض الديني محوراً تدور  
 عليه أعماله بين الناس لجدير بأن يعلق في عنقه حجر رحي  
 وي طرح في البحر لان هلاك واحد عن الشعب خير من  
 ان يهلك الشعب كله . والحق يقال ان أعظم ذنب يأتي به  
 أولئك المجرمون الذين يقعون تحت طائلة مجازاة الحكومة  
 لا يوازي الطفيف مما يصدر عن ذلك الغرض لان أدنى  
 حركة تنشأ عنه لا يخلو أمرها من القساء النفرة وتكدير  
 مجاري الراحة . فان لم نلبي حكومتنا السنوية الراغبة في  
 استئصال جرثومة هذا الداء المزمن الذي قد سري سمه  
 في عروقنا مع الدم فما من قائمة يرجي لنا قيامها البتة

وأنى يكون لنا ذلك وليس بيننا الا كل مكفر لا آخر واغمر  
الصدر عليه مما يضحك منه الولد الصغير ويبكي له  
الشيخ الكبير

هذا وليس المراد هنا التوسع في تبيان الاضرار  
الناجمة عن الاغراض الدينية لان ذلك يعد من باب  
تحصيل الحاصل اذ لا يظن بوجود من يجهل بيننا هاتيك  
الاضرار ولو كان من أدنى عامتافهما واسماهم جهلا .  
ولكنما اذا قلنا ان التعصب مضر بالناس أدباً وسياسة ودينياً  
وجب علينا ان نأتي على ما يبين لنا صحة هذا القول حتى  
يتأكد لاصحاب تلك الاغراض كيفية هذه الاضرار  
ومواقعها لان السواد الاعظم عندنا يجهلون مواقع الضرر  
فالعارفون بمرامي التعاليم الدينية يقولون ان التعصب  
الذي نحن بصدده غير جائز دينياً اذ ما من ديانته من  
الاديان الثلاثة العظمى أمرت به فان وجد هنالك شيء



يوهم الدلالة عليه فلغاية اقتضتها المصلحة الدينية وليس  
بخاف ان الاولى منها وتعرف باليهودية شريعة قديمة  
سناها الله على قوم كانوا عاشرين تحت ظل العبودية التي  
من شأنها ان تنحدر بأهلها في دركات الجهل والحشونة  
فلذا ان ما نراه فيها من التعاليم المغايرة لتعليم الانجيل الامر  
بمحبة العالم أجمع لم تكن الا لمقاصد اقتضتها حكمة الله  
وفقاً لمشارب القوم وأخلاقهم الغليظة وقياماً بما تدعو اليه  
المصلحة الحربية اذا كان نبي الله موسى من معاً ان يدخل  
بالشعب الا ما كن الغريبة الموعود بها ويتخذها لهم مواطن  
بعد استخلاصها من الامم قهراً وعنوة مما يقضي بالتحزب  
والتحامل عليهم وقهرهم وغرس بغضتهم في قلوب الاسرائيليين  
والا فحاش لله وهو سبحانه لم يضع الدين حتى جعله مناراً  
للآداب ومعراجاً للفضائل ان يعلم شعبه تعليماً يفضي بهم  
الى حال الحشونة والبربرية

ولامراء ان التعاليم الدينية اختلفت باختلاف أخلاق  
الامم التي جاءتها الكتب المنزلة والانجيل نفسه شهد بذلك  
فالسيد المسيح عند ما اعترضه بعض من اليهود لانه يعلم  
خلاف ما علمهم النبي موسى قال لهم ان موسى علمكم  
بحسب غلاظة عقولكم . ذلك ما يدلنا دلالة واضحة على  
ان الله جات حكمته أمر رسله الاظهار ان يأخذوا  
الناس من حيث المأخذ الاقرب وقفلاً حوالهم وظروفهم  
عما لاشبهة فيه

ولا خفاء ان الشريعة الدينية تأتي فتجد شرائع وعوائد  
خارجة عن الآداب والتقوى متمكنة راسخة بحيث يصعب  
نقضها فيقبلها التعليم الديني ولكن الى حين اذلا ينفك  
عاملا على تغيير هيئتها بتقدم الناس في الآداب والمعارف  
فبناء عليه لا يجوز لنا ان نعامل الناس بمعاملات دينية  
ليست مما يدل على صلاح وتقوى خصوصاً اذا كانت



مقصورة على الاضرار والاذى مالم نسأل عنها علماءنا  
حتى اذا أباحوها لنا عاملنا الغير بمقتضاها والا فلا لان  
في الكتب الدينية كثيراً من التعاليم التي جاءت بحالة  
اضطرارية اما اتباعاً لعوائد قديمة راسخة أو لغرض ديني  
اقتضته المصلحة مما لا يمكن لنا الاهتداء اليه الا بإرشادات  
أولئك الاعلام الراسخين في العلم . على اننا اذا عرفنا  
ان الدين لا يخرج عن مقتضى الادب والانسانية والتقوى  
فلا يصعب علينا كيفية السلوك بما يرضى الله والناس  
لقد جاء في التوراة ان الشعب الاسرائيلي طلبوا من  
المصريين يوم خروجهم من مصر بأمر نبي الله موسى  
أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً وان الرب أعطى نعمة للشعب  
في عيون المصريين حتى أعاورهم فسلبوا المصريين .  
ترى هل يمكن لعالم من أبحار اليهود ان يبيح لاسرائيلي  
بمقتضى ذلك ولو كان محتاجاً على أهبة سفر أن يسلب

أشياء الناس بطريقة العارية أو بطرق أخرى لالعمر الحق  
وانما كان ذلك لامر اقتضته الحكمة الالهية الغير المدركة  
فلك أن تقيس على ما تقدم كل ما جاء في كتب الدين مؤذناً  
بالمضرة أو مغيراً للتقوى التي هي مراد الحق سبحانه من عباده  
اما استعداد الامم الذين بشروا بالانجيل للاصغاء  
الى كل تعليم جديد لما كان ايامئذ من انتشار المعارف  
اليونانية والتمدن الروماني فقد ساعد كثيراً على قيام الديانة  
المسيحية بالوعظ والكراسة وان تكون متجهة نحو السلام  
متفرغة بجملتها لتعليم الآداب وغرس العواطف السامية  
في القلوب غير مضطرة الى مراعاة غرض دنيوي بحكم  
الضرورة مما اضطر اليه غيرها على نحو ما صرنا .  
فالانجيل من هذه الحيثية يأخذ دستوراً للمعاملات الادبية  
التي يجب ان تعامل بها بعضنا بعضاً  
ولسنا نريد بما تقدم الاقتصار في الادب الديني



على الانجيل وحده دون سواه - لان في غيره من الكتب  
المنزلة كثيراً من التعاليم الادبية الشائقة التي تأمر الناس  
بالعفو والمعروف والاحسان وتنهاهم عن المنكر وكلها  
آيات بينات عاملة على وجوب الاغضاء عما جاء به غيرها  
مؤذناً بغير التقوى - وانما أردنا ان نتخذ الانجيل مثالا  
لموضوعنا في عدم جواز التعصب لانه خال من التعليم به  
لما انه كما تقدم لم يضطر الى مراعاة أغراض دنيوية تدعو  
تارة الى التعليم بما يغير التقوى . على ان الحق سبحانه  
وتعالى ابي حتى في أما كن الاضطرار الا التنبيه على ترجيح  
جانب التقوى كما دل على ذلك القرآن الشريف . ترى  
على أي شيء نحمل قوله تعالى «من اعتدى عليكم فاعتدوا  
عليه بمثل ما اعتدى عليكم» وهو سبحانه وتعالى وتبارك  
شأنه قد قال في انجيله الطاهر «لا تقاوموا الشر» فهل من  
محل هناك يحمل عليه هذا الخلاف غير ما دعت اليه بواعث

دنيوية لم يتأت للمصلحة الدينية الا السلوك بمقتضاها .  
 لا جرم ان تعالينا الدينية على اختلافها في احكام العبادة  
 لا تختلف في ماهو متعلق منها بالامور الدنيوية خصوصاً  
 في ماتعلق بالمعاملات لان الادب الديني واحد عند الله  
 فلا يختلف باختلاف اديانه فان رأيت هنالك اختلافاً فاحمله  
 على الضرورة ولا تخش اثماً لان الله يأمر بالمعروف وينهى  
 عن المنكر . على ان الانجيل قد جعل حسن المعاملة أعظم  
 أركان الدين بل قد جعله الدين نفسه واليك تعليمه في  
 هذا الموضوع بحروفه وهو « فكل ما تريدون ان يفعل  
 الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم لان هذا هو الناموس  
 والانبياء » فقوله هنا « لان هذا هو الناموس والانبياء » يدل  
 دلالة قاطعة ان من أجل المعاملة قد أنزل الله كتبه وبعث  
 أنبياءه . ذلك هو تعليم الانجيل الذي حدا بنا الى القول  
 باتخاذ دستوراً للمعاملات الشريفة فتأمل



ولا يخفى ان الانجيل لم يقف عند حد الخلو من  
 التعليم بالتعصب بل قد جاوزه مسافات شاسعة تقضي  
 بالعجب العجاب لان التعاليم الاديبة التي جاءت فيه بالغة  
 من التناهي شأواً بعيداً جداً يقف عنده المتأمل مندهشاً  
 مهووتاً كيف لا ومن تعاليمه ما يفيد ان من خدش محيا  
 الادب بأقل كلمة مغايرة وجبت عليه نار جهنم . فالانجيل  
 من هذه الحيثية حري بأن يحتضنه كل انسان في العالم  
 عموماً وكل عثماني خصوصاً وينكب على مطالعته حتى  
 يستقر معناه الاديبي<sup>(١)</sup> في اعماق دماغه فيتعلم اذ ذاك كيف  
 يجب ان يعامل الناس

لاجرم ان ماجاء به غيره من الكتب المنزلة مما يؤذن

---

(١) ان المراد هنا تبيان كيفية المعاملة مما لا يتناول من التعاليم  
 الدينية غير التعليم الاديبي وحده دون سواء لان ماخرج عن ذلك  
 ليس من مباحث الجمانة

بالتعصب بحسب الظاهر مجمول على الضرورة التي دعت  
 إليها أحوال الاسرائيليين وعوائد الجاهلية وبالمقابلة بين  
 هؤلاء وبين الامم التي بشرت بالانجيل تتضح حقيقة  
 الاسباب التي أدت الى تباين التعاليم الدينية من حيثية  
 مفاد التعصب ولا اشكال في كل ذلك

وأعود فأوجه الاذهان الى المعنى المقصود مما مر  
 بنا آنفاً حتى لا يخال لاحد ان وراء كلامي ما يشير الى  
 أفضلية دينية مما ليس من الموضوع في شيء خصوصاً  
 واني ممن تأبى طباعهم البحث في ذلك وعندى ان الله  
 لا يطالب العبد بأكثر مما دعي اليه وتعلمه . ومن يعنى  
 النظر فيما تقدم ير جلياً ان الكلام موجه بجملته الى المعنى  
 الادبي فلا يتخلله شيء مما هنالك من الامور الدينية البتة .  
 على اني لم أقف في هذا الموقف الحرج الا وقفة من  
 يعتقد بصحة ادياننا العظمى كلها وهو على كونه حرجاً



يستدعى الى الوقوف فيه كل ذي غيرة وطنية فمساءه ان  
لا يعدم من ذوي المقدرة والفضل من يعلوه فيوفي الخدمة  
حقها فانها خير من كل ما يسمى وراهه كتاب هذا العصر  
عندنا جهاداً في سبيل التمدن لان الداء قتال لا محالة  
على اننا لو تأملنا في كيفية المعاملة التي أتى بها أولئك الذين  
أخذوا بانذار الناس ودعواهم الى عبادة الخالق لبزغت في  
عقولنا أنوار الحقيقة وعكفنا بكليتنا على بواعث الولاء والوئام  
انظر اصلحك الله الى أولئك العرب الذين على ما كان لهم من  
الجاهلية الجهلاء كيف انهم لم يلبثوا أن تألقوا وخرجوا من  
اماكنهم سعياً وراء الجهاد حتى أخذوا بمبادي التمدن اذ  
اينعت فيهم لاول وهلة من نشأتهم الدينية ثمار الضمير  
الصالح بقوة روح الديانة فكانوا على اجتماع وحدثهم  
بدعوة العصبية الدينية وتألبهم للقتال الذي كتب عليهم جهاداً  
في سبيل الدين لم يتخذوا تلك العصبية مركزاً لسياستهم

ولا تركوها تتغلب على صوالحهم السياسية فكانوا { نفعنا  
الله بهم } يقرون أهل الكتاب في اماكنهم متمتعين باسباب  
الراحة والامن . ولما شاع عنهم العدل وطار صيته في  
الآفاق التجأ اليهم كثير من الرومانيين تفلتاً من جور  
حكامهم والتمسوا لراحة فبؤهم احسن الاماكن حيث تمتعوا  
بعدالة لم يعرفوها في بلادهم . فلو حكم اولئك الكرام  
في اخلاقهم هاتيك الاميال الدينية المتحكمة الآن في  
اخلاقنا لما امكن لهم ان يبلغوا بارتقاء البلاد الى ما بلغوا  
ولا كانوا قدروا على تخليد فضل لن يزال العالم الغربي  
يذكرهم به ويعطر انديته العلمية بذكر محاسنه .

ومن الغريب ان ادياننا التي اوجدت نور التمدن من  
الظلمة نراها اليوم على خلاف ذلك . على ان العقلاء  
المحققين يقولون بدخول تعاليم جديدة عليها في القرون  
الوسطى أزمنة الظلمة والتعاسة أيام كان خدمة الاديان



يتصرفون في عقول الناس كيف شاؤا بدليل ان كثير منهم  
لا يزالون يتصرفون كذلك في اماكن الجهل حتى يومنا  
هذا . والمرجح ان هؤلاء علموا الناس ايامئذ بحسب اميالمهم  
وغاياتهم وعزوا تعاليمهم الى الرسل وخلفائهم فان صح هذا  
كان ما نراه جارياً بيننا من التحزب الديني نتيجة تلك التعاليم  
الدخيلة . ولا اخاله الا صحيحاً لان المتأمل في الكتب المنزلة  
التي قد يحمل ظاهر بعض تعاليمها على الظن بما يشير الى  
التعصب يرى من خلال هاتيك التعاليم العجيبة ما ينفي  
الظن والعلماء يصرفون كل تعليم ينافي التقوى حيث تبدو  
مظنة التعصب الى اغراض اقتضتها المصلحة . ولا يخفى ان  
الدنيا لا تخلو من اناس اشرار يدسون السم في كل شيء  
فما اجدر الذين يعزون الى الرسل تعاليم تنافي ما قام بعينه  
اولئك الاطهار من اخراج الناس من الظلمة الى النور بان  
يجازوا بسوء اعمالهم فانها دسيسة في الاديان . ولعمر الحق

ان شر الذين يدسون أنفسهم مع الصالحين وليسوا منهم  
لمن أعظم الشرور لانه خفي مستتر بستر الصلاح الخارجي  
فلا يمكن اتقاؤه فهو يجوز على الناس وليس من شعور  
به هنالك .

هذا وان ما يعتقد كل فريق منا من أفضلية دينه  
فلا يلزم عنه ما نحن عليه من الضغائن والانقسام وتخريب  
بيوتنا بايدينا . فاذا قال قائل منا مثلاً ان مفاتيح السماء انما  
اعطيت لبطرس الرسول وحده دون سواه وهو لا يفتح  
ابوابها الا لمن كان معترفاً برئاسة حضرة الخبر الروماني  
أفلا ترى انه يلزمنا دينياً ان نعتقد جميعنا كافة بان للسماء  
مفاتيح اخرى غير التي تسلمها بطرس وهي محفوظة في  
خزان ذلك الديان العظيم حيث العدل والرحمة والمحبة .  
الستم انتم الثلاثة ذوو الكتب المنزلة تعتقدون بحسب مال  
كتبكم ان تلك الدينونة الرهيبة ليست اكثر من الوقوع



في قبضة العدل الالهي فعلى م تحكمون بهلاك بعضكم  
 بعضاً ولا ظلم عليكم ولا خوف ولا انتم ممن يحزنون .  
 وانفرض هداكم الله انه تباركت حكمته التي لا تدركها  
 العقول غير راض الا عن واحد منكم وان ذينك الاثنين  
 مغضوب عليهما فاي دخل لهذا في احوالكم الدنيوية  
 وهو من متعلقات الآخرة ألم يدر في خلدكم حتى الآن ان  
 الدين شيء والدنيا شيء آخر ألم يئن لكم وانتم في عصر  
 التمدن والمعارف ابناء وطن واحد ان تلتئموا حول مائدة  
 الوفق والمحبة والولاء كما يلتئم افراد العائلة الواحدة حول  
 مائدة طعامهم بل ألم يئن لعلمائكم وهم آخذون في التوفيق  
 بين الدين والعلم خدمة للدين وحده ان يأخذوا بالتوفيق  
 بينكم خدمة للدين وللدولة والوطن معاً . ترى أي التوفيقين  
 أسهل مراساً عليهم دينياً أليس ذلك الكتاب « الذي » لاريب  
 فيه بحراً خضماً يمكن لغواصه على بعد غوره ان يستخرجوا

من لآئته ما يكفي لابتغاء الالفه والاتحاد . تالله لقد  
 صرنا مثلاً بين الامم فان لم نبدل من اطوارنا الحاضرة  
 خصالاً حميدة نزرع بنا الى مابه خيرنا وسعادتنا فلتبكي على  
 عقولنا البواكي .

وليس بخاف على ذوي الابصار والبصائر اننا اليوم  
 لفي حاجة شديدة الى العروج في مراقي التقدم لنضاهي  
 الامم المتمدنه ونباريهم في مضمار هذا الزمان الذي لا يتمتع  
 فيه بالراحة الا من كان منتظماً في سلكهم . وهذا العروج  
 انما يكون بالتعاون والتكاتف والاخذ بمحقات الامور  
 لا بالتعصب والانشقاق والنفور والعداء . فالجهل الذي رتع  
 به اسلافنا في مراتع الراحة على زعم الاكثرين منا لا يفيدنا  
 اليوم غير العناء والتقهقر لان ضياء هذا العصر بمعارفه  
 الزاهرة قد محاذلما هاتيك الراحة فاصبحنا مضطرين  
 الى السعي في الحصول على راحة جديدة تنطبق على احكام



هذه الايام التي وصلنا اليها ونحن في غفلة عنها . ومعلوم ان  
 اباؤنا رحمهم الله قد كانوا في غنى عن الانضمام والتعاقد  
 لان احوالهم السياسية والمدنية والمعاشية غير احوالنا الان  
 وعليه فالتحزبات الدينية لم تؤثر بهم تأثيرها بنا في هاته  
 الايام فنحن لا راحة لنا ولا حياة الا باستئصال جرثومة  
 هذا الداء حتى يتسنى لنا النهوض نحو العمل الجديد المتطلب  
 منا في سبيل التقدم مباراة لاولئك كما تقدم مما لم تمس  
 الحاجة اليه في هاتيك الازمنة بل لم يكن يخطر على  
 بالهم . فاضرار التعصب التي لحقت بالاولين كانت مقصورة  
 على النفرة وضرب الذلة والمسكنة على الفئة الضعيفة  
 وهي ولئن كانت أشد مما هي عليه الان الا انها لم تكن  
 من الضرر في شيء بالنظر الى احوالهم فقد كانوا عاشرين في  
 ظلمة الجهل ودنياهم عامرة ومنعتهم وافرة وليس بينهم الا  
 كل قانع بمركزه راض بحسبه لا يسوءه ظلم ولا استبداد

ويسره ان يدخل بيته وينفرد بعائلته وقفص الحبز ملآن  
وفواش النوم ممدود غير فاطن الى ما هنالك من الظلمة  
المحتفة به لان دماغه قد كان ملآن منها . واما اضراره  
اليوم فعظيمة جداً لان وراءها الخراب والتعاسة فلولم يكن  
منها غير صيلولته دون كل فائدة ومنفعة من فوائد ومنافع  
العصر التاسع عشر لكفى بها اضراراً جسيمة . ترى بتم  
أضرت النفرة بالاولين وقد كان الجوخاليا لهم يبيضون  
ويصفرون وليس هنالك من صياد يراقب انفرادهم  
او صارخ ينادي بهم حي على الفلاح . واي كحل من كحول  
الجور والاعتساف أمض عيونهم ولم يمضها اثم الجهل من  
قبل حتى صاروا يرون القيسح حسناً ويعدون تعاستهم  
سعادته . لاجرم ان بين احوالنا واحوالهم ما بين السماء  
والارض فتأمل .

ومهما قل التعصب في هذه الايام فلا ينفك على قلبه



كثير الاضرار واضرارہ تزداد جسامة كلما زاد مسيس  
 الحاجة الى التقدم فقليله مع المعارف اضر بالناس من كثيره  
 مع الجهل - وهنا يتضح خطأ القائلين بعدم اهميته الان  
 بدعوى انه قد قل عن ذي قبل ويتبين للمطالع ان لانجاة  
 لنا من شره الا بازالته كلياً . ذلك أمر موكل الى همة  
 دولتنا العلمية فعسى ان تنظر اليه بعين لا يتخللها اغضاء لانه  
 من الرزايا الفادحة التي عليها تمشى تعاسة الرعية وخراب  
 البلاد .

وقبل ان نختتم الكلام على التعصب واضرارہ نأتي على  
 تمة ما يوضح لنا اضراره الدينية توضيحاً لا يبقى معه شبهة  
 حتى يغدو المطامع وهو على يقين من عدم جوازه دينياً فنقول  
 لقد كان علماء المغرب زمان جهادهم في سبيل التمدن  
 في حرب عوان قائمة بينهم وبين خدمة الدين من جراء  
 مكابرة هؤلاء للحقائق العلمية بدعواهم انها تخالف الدين

وظل الامر كذلك حتى انجالت هاتيك الحرب المستطيلة عن  
 انحطاط قدر العقائد الدينية فكان سبب خسارة الغربيين  
 للدين خدمة الدين أنفسهم لانهم قد جعلوه آلة حربية  
 ضد كل حقيقة نظمها الباري تعالى في سلك هذا الكون  
 فلو أخذ أولئك الخدمة من ذلك العهد بالتوفيق بين الدين  
 والعلم كما يفعلون الآن حين لم يبق السيف مكاناً للعذل  
 لما ارتاب الناس بالدين ولا قام بينهم من علم ببطلانه اذ  
 لا يخفى ان اكتشاف حقائق راهنة محسوسة تكاد تلمسها  
 الكف وتسمعها الاذن اذا قال نصراء الدين انها على  
 خلاف الوحي وأصروا على المقاومة والتصدي لا تلبث  
 مكابرتهم حتى تنتهي بالمؤمنين الى انكاره فتأمل  
 أما نحن معشر الشرقيين فمصيبتنا من حيثية احوالنا  
 الدينية مزدوجة لان عداما لدينا من المعتقدات الباطلة  
 الحائلة بيننا وبين التمدن لما هنالك من مكابرة الحقائق



الساطعة نرى امامنا من التعصب الوخيم ثلاثاً تحاكي في  
 هذه الايام الجبال الشاخنة وهي وحدها كافية لصدنا عن  
 الوصول الى حيث يمكن التمتع بحقوق التمدن . ولا مرء  
 ان المصيبة الثانية شر من الاولى لان التعصب يستأصل  
 فروع التقدم ويقتل الحياة الوطنية وينزع الخير من البلاد  
 ويقطع سلكاً أعده الفضلاء في هذا العصر لانتظام لآي  
 يتألف منها عقداً ثميناً يتحلى به جيد العالم الانساني وبالجملة  
 فانه يطفى نور العمران الذي هو بهاء الانسان وفخره .  
 وأضراره بالدين لا تقل عن اضراره بالدنيا بل هي أعظم  
 كثيراً بما لا يقاس به شيء في هذه الحياة الدنيا لان وراءها  
 حرمانه السعادة الابدية لان الانسان متى أحس بلزوم  
 العروج في معارج التقدم الذي لا يتسنى الا بالتعاون  
 والارتباط الوثيق ورأى ان الدين يمنع من ذلك الارتباط  
 نفر من الدين لا محالة . فالتعصب من هذه الخبيثة يحاكي

مكابرة الامور القطعية التي اشرنا اليها في ما تقدم تمهيداً  
 للكلام هنا . ولسنا نقول هذا جزافاً فانه من الامور  
 المشاهدة عياناً لاننا لانكاد نجد بيننا من هو غير مكترث  
 للتعصب الا من كان مقتوناً في دينه حتى صرنا نتوقع  
 زواله بترك الدين والعياذ بالله

لاجرم ان تعليق التعصب الوخيم في هذا العصر  
 بالتعاليم الدينية ونحن نرى اضراره مرأى العين يعد من  
 أعظم التجديف على واضع الاديان لانه سبحانه وتعالى  
 قد وضعها لخير عباده وسعادتهم لا لشقاؤهم وتعاستهم  
 أليس الخلق بنا ان كنا مؤمنين ان نمنع التعليم بالتعصب  
 حرصاً على سعادتنا وصوناً لشرف ادياننا - نحن الان  
 لانشعر باضراره الملمة بنا لما لدينا من الجهل المستحوذ على  
 السواد الاعظم لكن متى عمّت المعارف وسطعت الحقائق  
 شعرنا بما هنالك من الاضرار شعوراً يتهيء بالعقائد الدينية



الى نقطة لو أدرك رؤساء الاديان خطرها لبادروا منذ  
 زمان الى نبذ التعصب وتحريمه علينا وتأويل كل تعليم ديني  
 يؤذن به بحسب الظاهر كما أخذ بعضهم مجدداً بتأويل  
 القضايا الدينية المخالفة للعلم وطابقوا بينها وبينه . فان لم  
 يفعلوا بان يزيلوا من امام التقدم الذي لا بد وان يقبل  
 العموم على الاخذ بفروعه كل عثرة وهمية ندموا وولات  
 ساعة مندم

ولا حاجة لان نبين اعتبار الديانة الاسلامية لاهل  
 الكتاب وقد مر بنا شيء يشير الى ذلك لاسيما وأمره اشهر  
 من نار على علم ولكنما رأينا هنا ان نتخذ استواء علي في  
 مجلس القضاء مع رجل من عامة الاسرائيليين دليلاً رهنأ  
 على خلو هذه الديانة الالهية من معنى التعصب خلوا تاماً  
 لان حيثما تكون العدالة والمساواة ينتفي التعصب لاحالة  
 على ان الامر قد جاوز حد المساواة وعلا بالفضل علواً كبيراً

اذ لا تحتمل المساواة ان يستوي ذلك الامام لم رضي الله  
 عنه { ذلك الاستواء الغريب الذي لم يبق معه شبهة في ان  
 الشرع الشريف يمنع من التعصب . واعلم اننا لم نكتف  
 بهذا المثال لقلة الحوادث من هذا النحو في الاسلام لان  
 امثلة ذلك كثيرة جداً فهي تعدد ولا تعد وانما أردنا ونحن  
 على وشك الختام ان ندل بالقليل على الكثير تنبيهاً للجهلاء  
 لانهم كثار جداً فيالتك الشريعة الغراء من جهلاء  
 لا يفقهون واجباتهم نحوها . اما ذلك الاثر النبوي الشريف  
 الذي هو سلم الفضائل فان لم يكن فيه غير اللعنة على من  
 يوقظ الفتنة فكفي به عاملاً على السكينة والمحبة والاخذ  
 باسباب الاتحاد

والحاصل فان لنا من خلاصة ما تقدم ان ما نأتيه من  
 الضغائن والقلاقل والفتن ذات الرزايا الفادحة انما هو  
 خروج عن الاوامر الدينية وضد العدل الالهي فلا جرم



اننا نغضب الله من حيث نعتقد العمل بوصاياه وتلك  
 خطيئة يتحمل أوزارها رؤساء الاديان وأعيان البلاد لتركهم  
 جهلة الناس يتمادون في غرورهم بل هي رزية يتحمل  
 اضرارها الدولة والرعية لانها تجلب الشر وتنزع الخير  
 وتعود على البلاد بالخزي والذل والعار والحراب فعلى خطباء  
 المساجد ووعاظ الكنائس ان يأتوا باوثك الى حيث  
 يتعلمون الانتفاع من الولاة والوئام وخدمة الانسانية والوطن



## ( التمدن والعوايد )

قد يستفاد من معنى التمدن لغويًا الحضارة غالبًا إلا أنه يطلق على الانتقال من حالة الحشونة والجهل إلى حالة الظرف والمعرفة. على أن الاقتصار فيه على مجرد الانتقال قد لا يفي بغايته العظمى فقد يحصل الانتقال وليس التمدن هنالك من هاتيك الغاية في شيء يستحق الذكر فلا يخلو والحالة هذه من أن المراد به البراعة بالآخذ في أسباب التقدم والفلاح .

ولا سبيل للتمدن بدون العز والمنعة لأن بهما تتوفر أسبابه وأجل حلية له الفضيلة لأن بها تنبع ثمار العواطف السامية التي هي شرف الوجود الإنساني وغايته . وهو حد أدبي يفصل الإنسان التمدن عن الحيوان الأعجم لأنه منشأ العمران وحياة الكرامة البشرية وشأنه العروج بأهله



في معارج الفلاح . على انه قد ينحدر بالناس الى التأخر  
والخراب اذا لم تتوفر لديهم أسبابه الرئيسة العاملة كما اذا  
كان مقتبساً تقليدياً خالياً من الخصائص الطبيعية التي عليها  
توقف منافعه . فافضل التمدن ماسقيت غرسته بعرق  
كد اهلها وأينعت ثماره بحسب خصائص تربه البلاد وهوائها  
وأشرفه ماخفت رايات العدل في افيانه .

والتمدن قديم العهد جداً رتع في رياضه كثير من أمم  
المشرق أدهاراً طويلاً الا انه لم يبلغ عندهم من حيث  
الفضائل والمعارف شأواً يستحق الذكر لان أديانهم الوثنية  
ذات الشعائر والخرافات الفاسدة كانت ولامرء تحول  
دون هذه المراقى السامية . على ان غاراتهم وحروبهم  
المتواصلة قد أضرت به كثيراً فكانت قلما تتيح له الثبوت  
على حال واحدة أو في مكان واحد . ومهما كان من أمره  
فهو محط رواجل الفخر لان بينما كان الشرق مستنيراً

بنوره كل هاتيك الادهار الطوال كان الغرب خابطاً باهله  
 في ظلمات الجهل . على ان التمدن الذي زهر بدره في  
 الافق الشرقي وكسا الشرق حلة الفخر الحقيقي انما هو ذلك  
 الذي جاء به الاسلام على المبادي الصحيحة اذ خفقت فيه  
 رايات العدل والمساواة . ولكن أبت الحوادث الشرقية  
 الا اتباع خطتها القديمة فأفل بدره بعد اذ أضاء اجيالاً  
 وقضى الله أمراً كان مفعولاً .

ولقد لحق بنا اليوم نحن العثمانيين عموماً والسوريين  
 خصوصاً قسمة ضئلي فكان نصيبنا من التمدن ذلك  
 النوع التقليدي المقصور على الانتقال لانه ليس من الخير  
 في شيء بل قد يكون مدخلاً للقهر والارتباك في أمور  
 المعيشة لما يتطلبه لها يوماً بعد يوم من مطالب جديدة  
 لا قبل لنا بها . ولا شبهة ان تمدناً كهذا ليس وراؤه غير  
 انسياب الانسان الى طلب هاتيك الاحتياجات الفادحة



في طرق المتاعب والايوصاب حيث يقضي العمر جرياً  
وراء الجهاد ضد الطبيعة حتى اذا خارت قواه كدحاً وكداً  
قضى شهيد التمدن .

وليس من يجهل ان للتمدن الغربي الحديث مزية  
شريفة أسست أعمده على الاصلاح فقامت الاعوجاج  
وقطعت دابر الظلم والاستبداد غير ان له هنالك عوائد  
زائفة ليست من التمدن في شيء . وهي على متانه دعائه  
وغزارة منافعه مضرة بأهله جداً لانها قد ألفت عندهم  
احزاب متعددة طالما كدرت مواردهم ولا تزال تسمى  
بينهم في الارض فساداً والمعروف من امرها ان شأنها  
غالباً على اختلاف مبادئها شن الفارة على كل دستور رسخت  
عليه اعمدة نظام العالم الحاضر . وليس من ينكر انها نشأت  
عن أقلام كتبة الكفر الذين هونوا على الناس ترك العقائد  
الدينية لان من يترك جانب الله يخوض في كل محذور ولا

يرى هنالك من حرج . فالتمدن الحديث لم يكديكتسي  
 حلة الفخر حتى تلطخت بشوائب العوائد القبيحة . على ان  
 هذه العوائد نتيجة الافراط في هاتيك المزية الصالحة  
 والغريب انها على كونها كذلك قد تقع أيضاً في التمدن  
 المقصور على الانتقال على خلوه مما أفرط فيه . وهنأزى  
 تعاستنا مرأى العين اذ ما كفانا نقص تمدننا وضعفه حتى  
 لحق بنا شيء من ذلك وهو آخذ بالازدياد وبالذاك اللحاق  
 من دمار

والذي يقابل بين سنن الاجداد في الاعصر الغابرة وبين  
 بدع الاحفاد في هذا العصر لا يستغرب سوء المنقلب الحاضر  
 الذي أفضى بالاكثيرين منا الى سوء الحال والتعاسة . ومعلوم  
 ان الانسان ابن العادة لان عليها تتمشى اكثر اعماله وبها  
 يذكر في المجالس والمحافل فهو يحسن بحسنها ويقبح بقبيحها  
 فالحسن منها يرقى به في مراقي الفخر ويؤهله للسعادة وقبيحها



يهبط به الى حضيض الذل حيث الشقاء والتعاسة وما يصدق  
هنا على الافراد يصدق على غيرهم لان على العوائد تتمشى  
أحوال الانسان الاجتماعية فالشعب الذي يتطرف في العادات  
لا يحمد مصيره مهما كان متمدناً لان التجاوز في العوائد  
حد الاعتدال مجلبة للويلات . وكما أشرنا في ماتقدم ان  
الاوربيين أنفسهم على وفرة مواد التمدن الصحيح عندهم  
لا تكاد تسلم مملكة من ممالكهم من الاضرار والشورور  
الناجمة عن ترك سنن القدماء

وغني عن البيان اننا في عصر لا يكاد يكسبنا حقيقة حتى  
يسلبنا أزياءها سنة من سنن أسلافنا الغراء فهو ولئن غزرت  
معارفه وجلت حقائقه فقيه من البدع ما هو شر من خرافات  
العصور الغابرة . فان لم ننزع الى استتدراك المحمود من  
عوائدنا الشرقية بابطال ماتعودناه تلقفاً عن قوم لا يرون في  
انتهاك حرمة القديم من حرج صرنا الي ما يعود علينا بالوبال

وبئس المصير . ولكن هيهات ان يتسنى لنا النزوع ونحن  
 انما مسترشدون بارشادات أولئك الفحول الذين ليس  
 من ندحة لنا عن التخلق بأخلاقهم وهنا نذكرهم بما لهم  
 من الخبرة والاقتدار فانهم قلما يبدلون من السنة القديمة  
 بدعة مالم تدفعهم اليها أحوالهم ويسبق بها علمهم بحيث  
 يهيئون لها أسباباً تقوم أودها وتدفع عنهم مضرتها خلافاً  
 لنا نحن الشرقيين فاننا نتلقف عنهم هاتيك البدع عن غير  
 رويه وليس لدينا من الاستعداد ما يمكننا من دفع المضار  
 واحواننا تأبى الا الاقرار على ما سنه لنا الاولون على ان  
 اكثر الغربيين ربما يشكون شكوانا غير ان شكواهم  
 نتيجة عدم الرضى وخصوصاً ان بيننا وبينهم بوناً بعيداً  
 فما يضر بنا من ذلك ونيهكنا قد يمكن ان لا يؤثر فيهم  
 الا دون الطفيف فمثل ذلك مثل داء واحد يصيب اثنين  
 فيموت الواحد ويشفي الآخر



ولا مشاحة ان اقتباسنا العوائد عن الغربيين نتيجة  
تقدمهم فكما زادوا تقدماً زدنا اقتباساً وليس من اقتباساتنا  
الا كل ما من شأنه ان يذهب بآدابنا ويحلب علينا المضرة  
ولا عجب فاننا مضطرون الى مجاراتهم في التمدن وليس من  
وسعنا اقتباس الصالح منه وما يظنه بعضنا من امكانية  
الاقتصار على اقتباس خير التمدن وترك شره فمن الامور  
المتعدرة علينا غالباً اذ لا يتأتى اقتباس حسنة ما لم يكن  
هنالك استعداد يمكن من الانتفاع بها فتأمل .

تقدم معنا ان الغربيين لا يبدلون من السنة القديمة  
بدعة حتى يهيئوا لها اسباباً تقوم أودها وتدفع عنهم مضرتها  
بخلافنا نحن فاننا نأخذها عنهم كمن يأخذ سما ناقعاً لان  
بدعهم لا نلائم أحوالنا اذ ليس لدينا من اسباب التهيئة ما  
يدفع عنا اضرارها . وأوضح دليل على ذلك وأقربه فهم إلى  
ذهن المطالع من العامة بدعة المهر المعروفة « بالدوتا » فكأننا

يعلم انها بدعة افرنجية دخلت بلادنا منذ عهد قريب وتأصلت  
 فيها حتى صارت مرعية كأنما هي ذلك الاكليل الذي لا يتم  
 الزواج الا به . غير ان البعض منا ربما يجهلون ان هذه  
 البدعة لم تترك عند الغربيين وشأنها فانهم قد زحزحوا  
 وقرها عن كواهلهم فترى الفتيات هنالك مطلقات العنان  
 يتخذن المعاشرة ذريعة للزواج فيخرجن ليلا ونهاراً في  
 طلب الزوج حيث يجدنه مخترقات الازقة والشوارع  
 منتشرات في الاسواق كالاعلام حتى كأن الياسة عندهم  
 بحر وهن فيه كالجوارى المنشآت . وليس هنالك من  
 مسرح أو مرقص أو ملعب أو أي محل كان من محال  
 الملاهي العمومية يمكن له ان يمنعهن عن التفتيش عنه بل  
 لهن الصدر حينما حللن فهن الآصرات الناهيات والاعظم  
 من ذلك ان أكثرهن يتعاطين أسباب الاكتساب  
 كالرجال حتى اذا لم نف المعاشرة بالغرض ابتاعت الفتاة



زوجاً بمرق جينها ولا يرين في كل ذلك عاراً - فإين هذا  
 كله من بناتنا القاصرات الطرف المقصورات في الخيام  
 ولا سبيل لخروج الفتاة منها الا بخروج من المال . لعمر  
 الحق انها لضربه قاضية على الجواري المشرقيات المسيحيات  
 اللواتي ليس من وسعهن القيام بتأديه هذا الصداق القبيح  
 بل هي بدعة ما أنزل الله بها في الشرق من سلطان  
 والذي يلزم ايراده هنا على سبيل الاستطراد هو انه  
 ليس في الدنيا من عار وفخر الا بحسب الاصطلاح فرب  
 عار عندنا يعده غيرنا فخراً وبالعكس بخلاف النافع والضار  
 فان لكل منهما فاعلية تميزه عن الآخر بحكم الطبع فلا  
 دخل فيهما للاصطلاح أي اننا لا نقدر ان نعتبر النافع ضاراً  
 والضار نافعاً . ومن الغريب اننا نجاري الغربيين في الضار  
 على وباله وننتزه عنهم حيث يكون شيء من العار على خلوه  
 من المضرة وعلى ما هنالك من الوهم . وليس المراد هنا

ان نفع العار مثلهم بدون محاشاة كلا - لاسيما وان ما ذكرناه  
 من اطلاقهم العنان لبناتهم غير شائع عندهم على السواء  
 بل لكل مملكة من ممالكهم عوائد من هذه الحيثة  
 يخالف كلها أو بعضها عوائد الممالك الاخرى حتى انك  
 لتجد في بعض ممالكهم من الحرية للفتاة ما هو غاية في  
 التناهي مما تاباه طباعنا كل الالباء غير ان هذه العوائد جميعها  
 على اختلافها تجري عندهم على اسلوب يتكفل بملافاة  
 الضرر - وانما المراد الانجاريهم في ما يأول لمضرتنا فان  
 لم يمكننا المجارة في المنفعة فلا اقل من الاهتمام بما يدفع  
 الضرر فقد نجذب عاراً طفيفاً وهو خير دافع . على اننا  
 قد جاريناهم في كثير من العيوب مما لم نألفه من قبل حتى  
 أضحى الكثير من آدابنا هباء مشوراً غير ان لسوء الحظ  
 ما من عيب منها غير ضار فالظاهر من اقتصارنا على المجارة  
 في العيوب المضرة اننا لا نحسب العار عاراً الا ما كان منه



ليس بضائر فتأمل

ومن الغريب اننا على رغبتنا في التمدن المقصور على  
الانتقال وتهاقنا على العوائد الحديثة لا يزال أكثرنا في  
حالة الجهل والحشونة لا يعرفون للتمدن اسما ولا يدركون  
للانسانية معنى وتلك مصيبة مزدوجة لاننا نلقى الشر من  
جانبين فمن الجانب الواحد يكاد هذا التمدن الناقص ان  
يقضي علينا قهراً وتعاسة من جراء وقره الباهظ وخلوه  
من أسباب الخير فهو بالحقيقة شر من العدم . وهناك  
قوم لا يفقهون يبرزون للنزال من الجانب الآخر شناً  
للغارة على بواعث الالفه والاتحاد فيسلبوا الراحة ويكدروا  
الموارد . على ان مثل هؤلاء خصب المرتع وراحه البال  
ولغيرهم القهر والوبال .

والذي يزيدنا وبالاً هو ان عوائدنا الحديثة مؤذنة  
بتعاسة مستقبلنا لانها فضلاً عن كونها مضرّة في ذاتها

فان أحوالنا لاتزال قائمة على اخلاق السواد الاعظم في  
 ممالكنا المحروسة أولئك الذين ما انفكوا عائشين على  
 ما كان عليه آباؤهم في ظلمة القرون الوسطى من خشونة الجانب  
 وغلظة الطباع . ولا شبهة ان العوائد اذا لم تجر على ما تقتضيه  
 طبيعة البلاد أدت الى مالا يحمد ولو كانت حسنة  
 فما قولك بها والحالة هذه اذا كانت قيحة . على ان أقبح  
 ما انصل الينا في هذه الايام التعيسة التطاول على مالم يكن  
 الشرق ليتطاول عليه . مذ كان مهد الانسان فقد ألفت المشاركة  
 احترام ملوكهم احتراماً يقرب من العبادة حتى ان مسامعهم  
 لتستك من ذكر ما يشف عما يؤذن بغير ذلك سواء كانوا  
 في مجالسهم العمومية أو في العزلة حيث لا ناظر ولا رقيب .  
 ونحن معشر العثمانيين نعتقد ان جلالة مولانا وولي نعمتنا  
 أمير المؤمنين جالس على عرش الخلافة العظمى وانه خليفة  
 الله في أرضه . ولا فرق في ذلك بين المسلمين وغيرهم



من رعايا دولتنا العلية لان المسيحي منا مأمور دينياً ان  
يؤدي مالملكه تأديته ما لله وان يخضع له ويعتقد بان سلطته  
من الله <sup>(١)</sup> . فان وجد بين المسيحيين من لا يشعر بهذا  
المعتقد فهو جاهل لا يعرف شيئاً من قواعد دينه وان قال  
قائلٌ منهم بخلاف ما قلنا فهو أجهل وأضل سييلاً - وهنا  
أقول : انه يجب على الكنيسة في الممالك المحروسة ان تصلي  
من اجل جلالته وتدعو له بطول العمر والنصر وان تكرر  
حمده على منابرها . ولا سبيل الي القول بان الكنيسة  
قصرت الصلاة من أجل ملوكها على المؤمنين بها منهم  
لانه قول لا يقوله الا كل مدّع عرف شيئاً وغابت عنه  
أشياء لان ذلك القصر أمر عارض اقتضاه الاحتفاء بالملوك

(١) هذا هو تعليم الديانة المسيحية ايام كان الملوك وثنيين فكم  
هو أخرى بالاتباع وجمالة مولانا السلطان الاعظم أعزه الله ونصره  
هو خليفة رسول الله المصطفى صلى الله عليه وسلم

الذين تنصروا فلقبتهم بالمؤمنين . فالكنيسة مضطرة الى ان تصلي من أجل ملوكها مسيحيين كانوا أو غير مسيحيين ولا أظن بوجود من ينكر عليّ ذلك والانجيل كتابه الا من أعمى الله بصيرته وكان من القوم المفسدين . كيف لا والانجيل يأمر بالصلاة حتى من أجل الاعداء ولعمرا الحق ان كنيسة تصلي من أجل سلامة العالم أجمع يعد ترك الصلاة فيها من اجل سلامة الملك بدعة وضلالا فعلى الكنائس العثمانية قاطبة ان تقوم بهذا الفرض الديني خصوصا وهي متمتعة بحماية ونعم جلالته أعزه الله ولست أعني هنا انها غير قائمة بذلك الفرض كلا وانما قلت ماقلته لاسمع اولئك المفسدين الذين أخذوا في هذه الايام ينكرون على الآباء الروحانيين اقامة الدعاء لجلالة مولانا في الكنائس - على اننا مازلنا ولن نزال جميعنا كافة رافعين لجلالته رايات العبودية والشكر سائلين الله ان يطيل لنا



في حياته الكريمة ويحفظ لنا ذاته المقدسة من كل مكروه .  
 وان فئة منا استهواها الغرور فارتكبت المنكر فسوف يغير  
 الله ما بها فترى باعينها سوء المنقلب .

وانقد استهوتنا العوائد الغربية حتى لم يعد بين شباننا  
 الا كل مسترسل اليها هائم على وجهه في سبيل غرامها .  
 ومن أقبح ما هنالك وأكثره عيوباً واضراراً المقامرة  
 والمسكرات ذات الانواع المتعددة التي تذهب بالعقل  
 والجسم معاً الى شفير الهاوية وظلمة الموت فضلاً عما  
 هناك من استهلاك المال في سبيل الشر وصرف الوقت  
 في الجهل والتعاسة مما ينزل بالانسان من قدره الرفيع  
 الذي خصه به الباري تعالى الى منزلة السفاهة والرذيلة .  
 وليس من اضرار السكر ما هو أشد فتكاً بالانسان من  
 فتكها بالصفات الادبية فلو فرضنا ان الناس كلهم أجمعين  
 أجمعوا على معاقرة المسكرات لكان لبني الانسان على وجه

البسيطة حالة يتعذر علينا تصور كفيتها حيث تكون  
ولامراء وراء الحالة البهيمية بمراحل

ومن العوائد التي اقتبسناها عن الغربيين ما هو حسن  
في ذاته كرفع الضغط عن المرأة وتسويتها بالرجل غير ان  
الحسن قد لا يكون حسناً في بعض الاحوال فلا بد لنا  
من الاعتدال باستعمال ما نقتبسه عنهم من الطيبات ريثما  
تنطبق احوالنا على احوالهم والا افضى الافراط بها الى  
الضرر فينعكس المراد لان نساءنا لا يزلن في حالة الجهل  
حتى اللواتي دخان المدارس منهنّ الا قليلا .

وليس القصد مما تقدم سلب المرأة عندنا ما نالته من  
حقوق هذا العصر وارجاعها الى الحالة القديمة معاذ الله  
من ذلك - لان جل ما اكتسبناه من التمدن الحديث هو  
اننا قد عرفنا ان المرأة عنصر الأدب واسباب السعادة ومرقاة  
الفضيلة مما يقضي علينا باعتبارها واعلاء منزلتها ناهيك



ما في اذلالها من الحشونة والبربرية خصوصاً وقد يظن  
 اليوم قومٌ ان ما نراه من الفرق في المدارك العقلية بينها  
 وبين الرجل لعله نتيجة السلطة والضغط عليها بحيث وقف  
 عقلها على توالي الاحقاب عند الحد الذي لم يتسن لها ان  
 تتجاوزه وقوفاً طبيعياً مما يقضي قضاءً آتياً بوجوب رفع  
 الضغط عنها ومساواتها بالرجل وان تكون مطلقة العنان  
 في أعمالها حتى تعود اليها مداركها الطبيعية كما أوشك  
 ان يشاهد ذلك في نساء العالم المتمدن - وانما استطردت  
 قليلا من الكلام في هذا الموضوع لتبيان وجوب تعليمها  
 الذي لا يزال الاكثرون عندنا غير مكترئين له ولتوجيه  
 التفات اولي الامر الى ما يجب ان تكون عليه مدرستها  
 حتى تخرج منها وهي على وفق المراد قادرة على القيام بما  
 تقتضيه الآن حاجة البلاد من تدبير المنزل وتربية الاولاد  
 وليس من العوائد الحديثة ما هو أقبح من هذه

المراقص التي يأخذ فيها الرجال بمخاصرة النساء من كل هيفاء بديعة الجمال عريّة الاكتاف . على انه مهما يكن من قببح تلك المراقص فليست بالامر الغريب ان تراها عند قوم عروا وقتاً ما فتاةً من ثيابها وسجدوا لها حيث يسجد لله وانما الغريب ان تراها في بلادنا ونساء المشرق يدخلها

تأمل يا من شففته العوائد الغربية حباً كيف يمشي الغربي في ارضك مرحاً كأنما البلاد بلاده وكيف ان له التقديم عليك حينما كنت وكيف انه اذا أتى بلادك في طلب الرزق يدخل اليه من أبواب يصعب عليك على اقتدارك وخبرتك بأحوال البلاد الدخول منها او يحظر وهو على ما فيه من الرقة والالطف حتى انه ليسالك العفو لاقل حركة مغايرة تبدو منه بحضرتك تراه عند ما يشعر منك بمس الطفيف من حقوقه يقطب في وجهك ويعربد



ويبدي من الشراسة والغلظة ما يخيل لك انه غير الرجل  
الذي عهدت فيه هاتيك الرقة وذلك اللطف وربما بدا  
منه ذلك ولم يكن من مس هنالك غير ما رآه بعين  
الغرض الاعمى . فما معنى ذلك ياترى ان لم تكن حقوقه  
سرعية لا تُتمس وأغراضه الباطلة اشرف من حقوقك  
الراهنه وانك انما خلقت لتكون ضحية هاتيك الاغراض  
كل ذلك وانت تتقرب اليه وتتشرّف بمجالسته  
وتصرف غاية جهدك في التشبه به على حين لا يكون لك  
منه الا عيوبه ونقائصه لانك ما دمت على هاته الحال  
لا هيأ عما يأول الى فلاحك فانت اضعف من ان تحصل  
بالتشبه به على الفلاح .

ولا خفاء ان الغربي على تمسكه باهداب الادب  
والانسانية كثير العيوب والنقائص فلا يغرنك تمدنه  
واطفه الذي يتحوّل الى الحشونة لاقبل سبب لان القوة

المستحوذ عليها والارادة المطلقة التي اتخذها دستوراً  
 لاعماله قد اودعنا فيه عنصر الطياشة والحفة كما اودعت  
 فيك الآداب الشرقية ما تناقب به من الرزانه والمرؤة  
 والشهامة المناقب التي بتشبهك به تخسرنا بلا عوض  
 لانك ما دمت مقتصرأ في هذا التشبه على ما هنالك من  
 الاضرار فلست بقادر ان تحصل على كرامته فتمسي خاسراً  
 واعلم أيها القارئ ان ما جاء في هذه المقالة مؤذناً  
 بأفضلية العوائد الشرقية انما هو من باب التعميم والا  
 فهنالك عوائد أجل من ان يثنى عليها وحبذا لو يتأتى لنا  
 اقتباسها . ولدينا من العوائد الشرقية ما هو غاية في القبح  
 والحشونة فمن لنا بمن يدلنا على الخيار من الطائفتين تلك  
 سعادة عظيمة لو يُتاح لنا نوالها . اما هاتيك العوائد  
 القبيحة فلو لم يكن لدينا منها غير هذا التعصب الوخيم  
 الذي هو وحده سبب تأخرنا وتعاستنا لكفى به رزية



تربو على كل رزايا العوائد الغربية . فعمسى ان ننتبه من  
غفلتنا فلا نلتي بأيدينا الى التهلكة لاننا احوج الى الالفة  
والاتحاد منا الى اثاره البغضاء والشحناء .

ويسرنا من هذه الايام اننا تحررنا من أسر الجهل  
قنبنا الخرافات وعودنا على الحقائق واننا رأينا فيها من  
سهولة الصلات واسباب الراحة في الاسفار برّاً وبحراً  
ومن وفرة التدابير الصحية الآتلة لسعادة النوع الانساني  
مما يحدو بنا الى الاستخفاف بالزمان الغابر ويبعث على  
تحية العلم وأهله . غير ان هذا السرور لا يقاس بالقليل من  
المتاعب والا كدار والعموم التي يكابدها الاكثرون منا  
ولنا من نافذة العصر الحاضر مايرينا ان العصر القابل  
سيكون شراً من هذا اذ تزداد فيه العوائد الغربية الزائغة عن  
الحجة المثلى فتعاضم الاحتياجات وتتفاقم الولايات وتبرزها تيك  
العوائد بلباس الخلاعة وهنا نعود فنذكر ذلك الجنس

اللطيف المزمع ان ينشر لواء الحرية في أرض المشرق ان  
 لا ينسى شدة احتياجه للعلم لانهن اذا لم يتصفن حيث  
 تبدو تلك الاحوال بالحكمة والدراية فهناك التعاسة  
 بعينها اذ لاراحة يومئذ مالم يجمع بين النافع والضار كما  
 يفعل الغربيون حتى يسد الاول خلل الثاني فيلاشي اضراره  
 فان لم تفعل فبشر الاحقاد بازمة شديدة . ومعلوم ان  
 المرأة الحكيمة العاقلة القادرة على تدبير منزلها وتربية  
 اولادها بخوف الله يمكن لها في مثل تلك الاحوال ان  
 تخفف عن كاهل رجلها معظم وقر الوطأة وبالعكس اذا  
 كانت جاهلة مقتصرة على التزين طامحة في الجري وراء  
 الحرية كفرس جامح ركب رأسه فلا يثنيه شيء فانها تزيد  
 وقرأ على وقر فليثق الله أب يحظر العلم على ابنته اولايهم  
 بتعليمها . على ان المدارس المعدة عندنا لتعليمهن لعلها  
 غير وافية بالمراد فعلى اولى الامر الالتفات الى هذا الشأن



الخطير لانه من الواجب الرئيسة التي عليها يتوقف  
الارتقاء في مراتي التقدم

ولقد مرت علينا الايام والاعوام ونحن نجاهد في سبيل  
التمدن وليس لدينا حتى الآن ذرة واحدة من صحبه، والمتأمل في  
حقيقة تمدننا الحاضر لا يسهه إلا التعجب إذ يجد أكثره  
كذباً وخداعاً لأن أكثر مظاهر حياتنا ان لم نقل كلها ليست  
من التمدن الصحيح في شيء وما دمننا على هاته الحال فسوف يمر  
بنا أيضاً اضعاف ماصر من الزمان مع زيادة في الجهاد  
ولا يمكن لنا الحصول سوى على ما هنالك من الاضرار  
لان من يجاري غيره في امر ما ولا يأخذ بمباديء ذلك  
الامر اقتصرت الممارات على المضرّة وتعذرت على  
المنفعة . فمماراتنا للغربيين في التمدن عارية من الاخذ  
بمبادئه الصحيحة . على اننا لو وقفنا عند هذا الحد المؤذن  
بعجزنا عن الاخذ بهاتيك المباديء وقفة الاحرار لكننا

خيرنا أنفسنا بين ان نواصل الحجارة وبين ان نغفل أمرها  
 اذا آانسنا منها الضرر ولكن لسوء الطالع قد أصبحنا غير  
 قادرين على التملص منها فنحن على اضطرار الى مجاراتهم  
 أردنا أم نرد - وهنا يجب التحذّر من خطر هذا المركز  
 الذي وضعنا فيه أنفسنا برضانا لانه وخيم العاقبة فقد  
 والله يخشى علينا واعدائنا بالمرصاد من هذه الخطة التعيسة  
 فعلى م لا نأخذ بمقتضى الامور

ولا أمر مقرر اننا كلما زدنا تمدنا زدنا ويلاً فنحن  
 وتمدنا أشبه بآدم وفردوسه فكما مددنا بأيدينا الى ثمرة  
 من شجر التمدن الشهية نجاب الشر على أنفسنا لانها  
 محظورة علينا بالطبع - وهنا موضوع كلامنا ومحل تعاستنا  
 لاننا نلقي الشر من حيث يُرجى الخير فالتمدن الذي ازدانت  
 به أمم المغرب ورتعت في رياضه بمراتع التقدم والفلاح قد  
 يزري بنا ويعبث بأعمالنا فلا يصيبنا منه غير الأذى والتأخر



ولا غروَ فاننا تركنا كل هاتيك الاشجار الباسقة الكائنة  
 في فردوس التمدن معرضين عن اثمارها البديعة ذات  
 الالوان الناصعة من كل يانع رطب ومددنا بأيدينا الى  
 شجرة الشر كما فعل ابونا آدم في فردوسه . ونخشى اذا  
 نحن لم نسمع قوله تعالى « ولا تلقوا بأيديكم الى  
 التهلكة » ان يصيبنا ما اصابه . أليس الاسلام لنا ان نهب  
 من غفلتنا ونسلك طريق الاخذ في حقائق الامور من  
 ان نسلم زمامنا لهذا الزمان الخيث حتى يقلبنا كما يقلب  
 الشاري السلعة كما هناك اخشابٌ مسندة لاحس  
 لها ولا حركة

ولقائل ان يقول اننا سنكون في العصر القابل أقدر  
 منا في هذا العصر على العروج في معارج الفلاح اذ قد  
 أقشع عنا ضباب الجهل وهل هلال المعارف في أفقنا ولا  
 بد بصيرورته بدرًا من الحصول على ما يوطد لنا أركان النجاح

- فجوابه ان صيرورة هذا الهلال بداراً لا تفيدنا مثقال  
 ذرة من النجاح مادام نوره مقتبساً من شمس العلوم  
 الثابتة هنالك وشتان بين من يستضيء بنور عن طريق  
 الانعكاس وبين من يضيء عنده ذلك المصدر الاصيل  
 فيستنير بنور باهر مستكمل خصائصه الطبيعية التي عليها  
 تتوقف منافعه . ألا ترى خلو نور القمر من الحرارة مع  
 ان نوره مقتبس من الشمس التي هي المصدر الاعظم لها .  
 أو لا ترى ان للتمدن أثماراً لا يلد أكلها ويحلو طعمها  
 ويرخص ثمنها ما لم تكن من حاصلات البلاد بخلاف ما اذا  
 أتت بها من بلاد غريبة . فان لم تساعدنا الاحوال على  
 غرس التمدن في تربتنا ونسقيها بعرق جبيننا فلا سبيل  
 للنجاح . ولا شبهة ان العلوم والمعارف في أحوال مثل  
 أحوالنا الحاضرة لا تأتي بادنى ثمرة بل يكون الجهل خير  
 منها لانها لا تكسبنا اذ ذلك الا القهر ونكد العيش فتكثر



احتياجانا وتكبر نفوسنا حتى تتعب أجسامنا في سبيل مرادها  
 الصعب فلا تكاد تبلغ مُتتصف الطريق حتى تقضي عياء وكآبة .  
 تلك أحوالنا من حيث التمدن والعوائد وهذا شيء منها  
 نسوقه إليك أيها الشرقي فاعلمك ترى به ان افتخارك  
 بالتمدن الحاصل ضربٌ من الباطل فتأخذ الحذر لنفسك  
 غير مغرىً بطلاوة الأباطيل . واعلم ان ما من نفع إلا ومعه  
 شيءٌ من الضرر واضرار التمدن كما علمت كثيرة فلا بد لك  
 من الاعتدال بمجاراته الغربي في الاضرار ريثما تتسنى لك  
 مجاراته في ما هنالك من المنافع حتى اذا توازنت لديك  
 المنافع والمضار كنت في مأمن من شر الخطر . ولا تنس  
 يا هذا واجباتك نحو وطنك لأنه أساس خيرك وسعادتك  
 فجامل ابن وطنك وسالمه بقدر جهدك حتى يكون لك يداً  
 في سبيل القيام بهاتيك الواجبات الشريفة . واحذر ان  
 يفصلك عنه فاصل ديني لان الله الذي لم يشأ ان يجعل الناس

أمةً واحدةً هو أدري منك بمراده فانت ماذا يعنيك فهل  
 هنالك غير الاعتراض على مشيئة الباري تعالى . هذا واننا  
 نسأل الله والدنيا لمن غلب ان يرشدنا الى حيث يمكن  
 الاخذ بمحقات الامور صيانته لانفسنا ولاوطننا وان  
 يؤازر دولتنا العلية بعنايته ويجعل لها نصراً مؤزراً بحمايته  
 رافةً بنا انه لرؤوف رحيم .

### (المرأة والدين)

طالما انا علماءنا وادباؤنا ببراهين علمية وأدبية تؤذن  
 بالمساواة بين المرأة والرجل وقالوا بوجوب العمل بما  
 تقتضيه هاته المساواة تقويماً لدرء الهيئة الاجتماعية - وهنا  
 نأتي على ايضاح المرأة في موقف ديني لعلنا نقدر ان نرفع  
 عنها ستار الوهم فتريها للمطالع من ذلك الموقف انها هي  
 والرجل بمنزلة واحدة في هذه الحياة كما هي الحال في الحياة الاخرى



ولقد دخلنا للبحث في هذا الموضوع من باب ديني اعلمنا  
 ان كل ما جاء به اولئك الافاضل من وجوب تسويتها  
 بالرجل لا يفي بالاقتناع ما لم يبحث فيه بحثاً دينياً لان السواد  
 الاعظم عندنا ما انفكوا مصرين على الاعتقاد بانها أحط  
 منزلة من الرجل وانها ليست في نفس الامر الاً خادمة  
 له وهم يعتقدون ذلك على اعتقادهم بوحدة منزلتهما في  
 الحياة العتيدة . فمن العبث اذاً ولوج الكتاب في هذا  
 الموضوع من أبوابه العلمية والادبية فانه لا يكون الا  
 كالضرب في حديد بارد . ولا غرو فان من تقرر في  
 عقولهم حرمانية تسوية المرأة بالرجل وقد صرّت عليهم  
 الاعوام والقرون وهم عائشون في ظلمة الجهل حتى  
 أضحت الغلظة والحشونة تراثاً لهم يرثه الابناء عن الآباء  
 فلا يمكن اقتناعهم الاً بالادلة الدينية . على ان البحث في  
 ذلك من باب ديني خليق بخدمة الاديان ولكن لما كانت

الحاجة ماسة إليه ولم يقم من اولئك الكرام من أهتم به  
 رأينا ان نأتي عليه قياماً بالمواجب الوطنية المسؤول عنها كل  
 فرد منا

وقد يُعاب في هذه الايام التعرُّض للمباحث الدينية  
 وان كانت مباحث عمومية لغير قصد جدال وهذا من  
 العوائد المضرة التي اقتبسناها عن الغربيين لاننا معشر  
 العثمانيين لفي حاجة شديدة الى هذه المباحث لما ان  
 الاكثرين عندنا لا يتحققون حقيقة ما لم يروا مصادقة  
 الدين عليها سواء كانت من متعلقاته او لم تكن فان لم يروا  
 هنالك شيئاً من المصادقة حسبوها كفراً وضلالاً وقد  
 يتفق مع ذلك للبعض من شباننا المتشدين ان يتخذوها  
 دليلاً على عدم صحة الدين والعياذ بالله فبناء عليه لا يسوغ  
 لاحدٍ من كتابنا ان يأتي على اثبات قضية علمية توهم  
 علاقتها بالدين ما لم يشفعها بدليل ديني اذ ليس من مقصدنا



تبديع الحقائق التي عليها يتمشى الفسلاح ولا من عز منا  
الخروج من الدين الى ما خرج اليه الغربيون وانما غايتنا  
الوحيدة تحصيل الحقائق وترويجها بيننا مع المحافظة على  
العقائد الدينية فاذا قال قائلٌ منا مثلاً ان هذا الفضاء واسع  
لا نهاية له ولم يؤيد قوله بتعاليل دينية لا يلبث ان يسمع  
قول المعترض « وأين السماء اذن » فلدفع مثل هذا الاعتراض  
التعيس الذي ينبه الاذهان ويحرك القلوب الساكنة  
ويلقي الناس في الشكوك يجب ان لا يذكر احد مسألة  
علمية توهم مخالفتها للدين ما لم يأت على المطابقة بينها وبينه  
ولا يخفى ان التعاليم الدينية كثيرة المرامي بعيدة الغاية  
قد نفذت فيها الحكمة الالهية كل منفذ بحيث اذا أُشكل  
علينا أمر من الامور امكن لنا بعد تدبرها تيك التعاليم العجيبة  
ان نجد له حلاً مهما تراءى لنا صعوبة السلوك فيه دينياً  
وتلك معجزة الهية جاءت بها حكمة الله التي أحاطت بتلك

التعاليم البعيدة المرامي احاطة السوار بالمعصم . وليس من شئ  
 يحتمل كثرة التأويل وتوجيهه الى معان مختلفة ومقاصد  
 أكثر من ان تحصى كالمسائل الدينية . على ان المتأمل  
 البصير يرى جلياً ان لا تعلق بين الدين والعلم فسواء  
 صحّت المطابقة بينهما أو لم تصح فعلي حدّ سوى لان الدين  
 شئٌ والعلم شئٌ آخر وسنأتي في المقالة التالية على ما  
 يبين ذلك . ولكن بما ان أخلاق عامتنا نأبى التسليم بحقيقة  
 ذنوبية اذا هي لم تطابق التعليم الديني وعندهم ان كل  
 ما خرج من الحقائق عن المطابقة غير مقبول ولو وقع  
 تحت مشاعرهم يجب الاهتمام بالتوفيق بين الدين والعلم  
 ترويحاً للحقائق وقياماً بحقوق راحة ضمائرهم مما هو  
 مسؤلٌ عنه خاصتنا وتخلصاً من تكفيرهم للجراند  
 العلمية التي نحن في حاجةٍ الى رواجها بيننا . ترى ما الفائدة  
 منها للبلاد اذا هي انحصرت بين فئةٍ قليلةٍ منا وهناك



تسعة اعشار العثمانيين او أكثر يعقونها وتمج اسماعهم  
 ذكر اسمها . هذا واذ قد علمنا كل ذلك نأتي عل ما نحن  
 بصدده فنقول .

خلق الرجل اقوى جسداً من المرأة فقبض بقوته  
 على زمام الحياة الدنيا وتولى مهامها بيده وسطا على  
 المرأة وتسلط حتى على ارادتها متخذاً اياها كخادمة .  
 واذ لم يكن لديه في هاتيك الازمنة المتوغلة في القدم  
 رادع أدبي أو ديني يردعه عن هذا العمل الوحشي ظلّ  
 الامر كذلك حتى رسخ في ذهن المرأة نفسها انها انما  
 خلقت لاجله فخضعت اذ ذلك لحكم الطبيعة وطاب لها  
 العيش راضية بما هناك من العبودية الجائرة التي سلبتها  
 قسماً كبيراً من مداركها العقلية حتى ضرب المثل بصغر  
 عقلها ولا يزال مضروباً خصوصاً عند المشاركة حتى يومنا  
 هذا . على ان التمدن الذي انتاب الاقطار الشرقية في

الازمنة الغابرة كان يزحزح شيئاً من الضغط عنها ويقال  
 انها وجدت لنفسها شأنًا عظيمًا عند بعض أمم المشرق في  
 تلك الازمنة ولكن لما انطفأت انوار التمدنات الشرقية  
 عادت الى حالتها الاولى من العبودية والجهالة كما تراها  
 اليوم في أكثر الاماكن من بلادنا .

قلنا مما تقدم انه لم يكن من مسوغ لضرب الذلة  
 والمسكنة على المرأة غير ما للرجل هنالك من القوة الجسدية  
 التي دفعت به الى ان يصول على المرأة جهلاً وظلماً وتبين  
 لنا أيضاً ان منزلتها كانت تحيا بحياة الآداب والمعارف مما  
 يدلنا ان الضغط عليها نتيجة الحشونة والبربرية ليس الا .  
 ولما كانت أدياننا العظمى الفاعل الاعظم تهذيب الاخلاق  
 وترقية الآداب وتلطيف الاذواق رفعت عن المرأة معظم  
 ذلك الضغط الفادح الذي ما أنزل الله به من سلطان  
 وجاءت بنصوص صريحة تدل دلالة واضحة ان لافرق



بين الرجل والمرأة لاني الدين ولا في الدنيا وهالك بيان ذلك:  
 لقد جاء في التوراة ان الباري تعالى خلق المرأة من  
 ضلع الرجل وهذا التعليم الديني المعمول عليه لما انه اساس  
 التعاليم الدينية المتعلقة بالمرأة اذا فهمناه بحسب معناه الظاهر  
 أي ان المرأة قد تكونت حقيقةً من ضلع الرجل فلا يبق  
 شبهة في ان الاثنين متساويان في المنزلة لان الله لم يخلق  
 المرأة من الرجل الا ليجعلها نظيره والا لخلقها من شيء  
 آخر أو من لاشيء . اما ما يقوله الكثيرون من الناس ان كون  
 المرأة ضلعاً من اضلاع الرجل يقضي بانها جزء منه والكل  
 أعظم من الجزء فهو مردود هنا بحكم طبيعة الخلق الذي  
 اوجده الله من لاجزاء ولا شيء وجعله كلاً فلا جرم انه قول  
 لا يقوله الا الجهلاء لانه كفر صرف . على اننا اذا نظرنا  
 في المسألة من حيثية ما يقولون رأينا ان الافضلية للمرأة  
 وليس للرجل لان هذا قد جبله الله من تراب الارض

وتلك أوجدها منه من بعد تكوينه فكأنها والحالة هذه  
خلاصة خلقه الرجل ومع ذلك فلسنا لنقول بمزية الواحد  
على الآخر في الحلقة لان مسألة الضلع لم تكن الا للاشارة  
الى وحدة منزلتها . واما ما يقوله الناس ايضاً من ان الله  
قد خلق المرأة معينة للرجل كما جاء في التوراة ويفسرون  
ذلك بمعنى خادمة فما تفسيرهم هذا الا ضلال واقتراء على  
الله اذ ليس في المعنى هناك ما يشير الى خادم ومخدوم بل  
فيه ما يثبت المساواة ويؤكد كدها فقد قال الله تعالى هناك  
« فاصنع له معيناً نظيره » فالاعانة هنا لا تدل على كون  
المرأة خادمة للرجل وانما تدل على تقسيم الاعمال بان على  
كل منهما عملاً خاصاً به بدليل ان الله سبحانه قد أوضح  
ذلك بعدئذ عند اخراجهما من الفردوس اذ قال للرجل  
بعرق جبينك تأكل خبزك معلقاً به الكد والعناء وقال  
للمرأة ما يؤذن بتعلق الشؤون البيتية بها . على ان هنالك



أمرًا أوجبه غضب الرب لمخالفتها الوصية الالهية وعليه فقد  
قال الله تعالى للمرأة ما يفيد سيادة الرجل عليها وقال للرجل  
ملعونته الارض بسببك . فحكم سبحانه بالقصاص على  
كلٍ منهما بما يلائم طبيعته . والحاصل فان قوله تعالى  
بسيادة الرجل انما قاله حل الغضب قاصداً الانتقام من  
المرأة كما انتقم من الرجل فقدّر عليه المشقة والنصب  
ولعن الارض به . وما قوله السابق « فاصنع له معينا نظيره »  
الا حكم خلقي طبيعي يقضي بكونها نظيره ولاشبهة فيه  
وسياتى بنا في سياق الكلام ما يثبت ان هذه السيادة  
لا تحط من منزلة المرأة شيئاً وانما هي أمرٌ اقتضاه الغضب  
الالهي وقتئذٍ من جهة وأدّى اليه ضعفها الجسدي من  
جهة أخرى .

واذا دخلنا في معنى مسألة الضلع من باب رمزي  
حملا على ما يقوله الجهابذة من علماء الاديان من ان أكثر

التاريخ الخلقى المذكور في التوراة جاء مرموزاً به وان  
مسألة الضلع رمزية بمعنى ان المرأة لم تتكوّن حقيقةً من  
ضلع الرجل كانت حجة المرأة اليوم بوجوب المساواة  
بينها وبين الرجل دامغة لا يتخللها شك والّا فالى أي  
شيء رمز نبي الله موسى بذلك الضلع ان لم يكن الى  
المساواة . لاجرم انه مصروف بجملة اليها وانما جاء  
من باب الرمز لتعذر التصريح بها لما انه قد رسخ في  
الاذهان ما يخالف ذلك رسوخاً طبيعياً حتى ان المرأة  
نفسها لم يكن عقلها في تلك الازمنة ليقبل بالمساواة فما  
رأيتك بالرجل المتصف بالقوه والحشونة ذلك الذي استأثر  
بإعمال الدنيا وأبى الا تسلطه على المرأة . على ان حكمة  
الله التي لا تحدها العقول لم تترك الموضوع مقصوداً على  
ذلك الرمز بل تجاوزته الى التصريح بالمساواة ولكن بغير  
التلفظ بها على اسلوب يدل عليها دلالة صريحة فقال نبيُّ



الله وكليمه موسى اذ ذاك ما مفاده « بما ان المرأة ضلع  
 من اضلاع الرجل يجب عليه ان يترك اياه وامه ويلتصق  
 بامرأته لان الاثنين جسد واحد » فلا يخفى ما في هذا  
 القول من التصريح بالمساواة تصريحاً لا يقبل التأويل .  
 وهذا التصريح نفسه يثبت لنا ان الضلع أمر رمزي  
 رموز به الى المساواة بدليل انها نتيجته كما اتضح من  
 قول النبي موسى . فكأن الحكمة الالهية قد جعلت الضلع  
 مقدمة لهذه النتيجة المصرفة بالمساواة والافعل مـ بنى  
 عليه النبي ذلك القول ان لم يكن كذلك والله سبحانه قد  
 كتب بأصبعه في ذينك اللوحين « اكرم اباك وامك »  
 فكيف يأمره هنا بتركهما والاتصاق بامرأته لاجرم  
 ان الاشارة الى المساواة اقتضت المجيء بتلك المقدمة  
 العجيبة ونتيجتها الراهنة على ما تخلل ذلك من قطع النظر  
 عن ذلك المكتوب بالاصبع الالهى . ولا ريب ان المتأمل

في ذلك التعليم الرمزي ومجيئه بنتيجة صرحت بالرموز  
 اليه على تعذر التصريح يقف مندهشاً من غور حكمة الله  
 لانه من اعظم معجزات الكتب المنزلة التي يعجز عن  
 الايمان بمثلها حكماء الارض وفلاسفتها فليعتبر المتشدقون  
 هذا ولعمر الحق ما من تعليم أدلّ على المساواة من  
 القول بان الاثنين جسد واحد الا اذا اعتقدنا بان نفس  
 الرجل أفضل عند الله من نفس المرأة وهذا باطل لانه  
 اعتقاد كفري يعتقد به بعض من أصحاب الشيع غالباً فتأمل  
 أما الديانة المسيحية فانها قرّرت ذلك التعليم الالهي  
 الذي تقدم ذكره وأمرت المرأة ان تخضع لرجلها  
 وأمرت الرجل ان يتعطف على امرأته وان يخلص لها  
 الحب . فمن هذه الاوامر لا يمكن اقامة دليل على سمو  
 منزلة الرجل وانحطاط درجة المرأة وانما يتضح منها جلياً  
 ان على كل منهما واجبات خصوصية يقوم بها نحو الآخر



مما يدل ان الحقوق بينهما متساوية . أما فرض الخضوع  
 على المرأة فلا يُستدل به على انحطاط منزلتها كما يوهم  
 ظاهر الامر لانه أمرٌ اقتضته قوّة الرجل كما اقتضى  
 ضعفها التعطف عليها ولا يحسن بالتعليم الديني الذي جاء  
 ليلقي المحبة والسلام في الارض الا الامر بذلك لان  
 هنالك ناموس طبيعي يقضي بخضوع الضعيف للقوي  
 وناموس أدبي يقضي بتعطف القوي على الضعيف ومن  
 خصائص التعاليم الدينية تقرير النواميس الطبيعية والادبية  
 المتعلقة بنظام العالم الانساني . على ان الخضوع امر أدبي  
 يجب على كل منا القيام به نحو الآخر وعندى ان ليس  
 من مانع يمنع الرجل المتحلي بالصفات الادبية من الخضوع  
 لأمراته اذا كان ثمت آداباً ومعارف تتلقّى ذلك الخضوع  
 بما يليق بالرجل . على اننا لدى التأمل نرى ان الخضوع  
 لائق جداً بالمرأة لانه عنوان العفة والطهارة وليس هو

الاشيئاً من التواضع واللفظ والدعة وكاني به من طبيعتها  
 فهي تأتية عن دافع غريزي بلا تكلف ولعل للسيادة  
 التي جاء بها الغضب الالهي كما تقدم حدًا تقف عنده هذه  
 الغريزة وقفة الرضا وعليه فالمرأة التي تنفر من سيادة  
 رجلها ليست بالمرأة العفيفة

والحاصل فان الديانة المسيحية قد ساوت بين الرجل  
 والمرأة لانها قد فرضت على كل منهما واجبات تليق به  
 وتلائم طبيعته والذي ينعم النظر هنا قليلا يرى ان تلك  
 الواجبات مصروفة بجملتها الى الاخذ بأسباب الاتفاق  
 الذي لا يمكن لاثنين ان يعيشا معاً بدونه فتأمل .

والذي يمكن الحكم به ان الخضوع الذي أمرت به  
 الديانة المسيحية يقرب من قوله تعالى «الرجال قوا مومنين  
 على النساء» لان الامر بالخضوع ظاهر من معنى الآية  
 الكريمة . على ان سيادة الرجل التي حكم بها الغضب



الالهى على المرأة قديماً كما مرّ بنا زراها بادية هنا ولسنا  
 نعجب ان نرى في الآية ما يدل عليها ولا اذا رأينا  
 الشرع الشريف يأمر بها لانها مقررة شرعاً وعرفاً  
 فلا بد من اعتبارها وطبيعة المرأة نفسها تشهد بها وانما  
 العجب ان نرى بيننا من يتخذها على غير حقيقتها التي  
 أشرنا اليها غير مرّة فالكثيرون عندنا يتوهمون ان سيادة  
 الرجل على المرأة لم تكن الا لتدل على ان هنالك سياداً  
 وأمة وفي ذلك ما فيه من الضلال والافتراء على الله .  
 على ان قوله تعالى «أما امساك بمعروف أو تسريح باحسان»  
 يؤذن برفع الضغط عن المرأة وينفي كل ريبة . وفي القرآن  
 الشريف كثير من التعاليم الآمرة بحسن معاملة المرأة  
 وهي فيه أقوى معنى مما جاء من ذلك في التعاليم المسيحية  
 ومعلوم ان أدياننا العظمى اغترفت تعاليمها من ينبوع  
 واحد الذي هو الحق سبحانه فكل ما خرج منها عن أحكام

العبادة وأساليبها يتجه كله الى حكم واحد فلا فرق في مسألة المرأة وما جرى مجراها من المسائل الدنيوية بين تعاليمنا الدينية فان وجد هنالك من فرق فلا أكثر من اختلافات طفيفة تتعلق بأساليب الاستعمال مما يختلف باختلاف أذواق الامم

ولقد فرضت الديانة المسيحية على المرأة غطاء الرأس عند اقامة الصلاة وهذا الغطاء ليس فيه ما يحط بقدر المرأة وانما المقصود منه مراعاة العفة والطهارة ولعله غير بعيد عن الحجاب الذي أمر الله به في كتابه العزيز . غير ان الديانة المسيحية قصرت خباء المرأة على الصلاة مكتفية بمراعاة العفة أوقات العبادة تاركة للاوقات الاخرى هاتيك الوصايا المشددة التي منها من نظر الى امرأة واشتمها فقد زنى بها . فكأنها نظرت الى وجوب بروز المرأة من خدرها اصلاحاً للاحوال الدنيوية على نحو ما جاءت به



معارف هذا العصر ففضلت البروز على الخباء ونعم التفضيل  
فانه حسن جداً . ولكن سبحان من جعل لكل فريق منا  
اسلوباً خاصاً به .

أما ضرب المرأة عند النشوز فهو من خير الامور  
وأفضلها فأني متمدن في العالم يتصور امرأة بحالة النشوز  
ولا يقول بوجوب ضربها . لا جرم ان النشوز ضرب  
من الجنون اذ لو علقت تلك المرأة الناشزة وجوب الاتفاق  
بينها وبين رجلها لما نشزت بل كانت بذلت أقصى جهدها  
في سبيل الاخذ بأسبابه حرصاً على نظام بيتها وصوناً لشرفها .  
والمجنون في الازمنة القديمة أيام الرسل والانبياء كانت تغل  
يديه ورجليه ويلقى في أماكن الظلمة . فالتعليم الديني الذي  
أمر بضرب المرأة الناشزة قد رحمها كثيراً مما لا شبهة  
فيه . ولا يتوهمن احد ان في هذا الضرب ما يفيد انحطاط  
منزلتها او تنقيص شيء من حقوقها لان هذا كله محفوظ

لها هناك فاذا تعدى الرجل واجباته نحو زوجته بأن  
عاملها بخلاف ما أمره الله به أباحت لها الشريعة ان  
تشكوه الى الحاكم الشرعي والشرع الشريف يأمر  
بقصاصه لا محالة . فتبين لنا هنا ان المرأة لما كانت غير  
قادرة على ضرب الرجل أقام الله لها من يضربه عنها قاتل  
فما تقدم من المباحث الدينية يتضح لنا ان لادليل  
ديني على صغر منزلة المرأة اذ ليس هناك ما يستفاد منه  
ذلك البتة . فغاية ما استفدناه ان أدياننا أمرت كلاً من  
الرجل والمرأة بما يلائم طبيعته مما لا سييل به الى القول  
بان الخضوع يدل على صغر المنزلة والتعطف يدل على كبرها  
وقد استفدنا أيضاً ان هاتيك الاوامر كلها يُقصد بها  
مراعاة أسباب الاتفاق حتى تبدو الالفة والمحبة والاتحاد  
مما لا يتأتى للزوجين صفاء العيش وراحته الآب .  
اما الطلاق فهو خير واسطة تدفع المرأة الى مراعاة



أسباب الاتفاق وليس فيه ما يدل على انحطاط درجتها بل  
ليس من شيء أشرف منه إذا تعذر الاتفاق بين الرجل  
وامرأته فالطلاق في مثل هاتيه الحال أمر واجب ضروري  
لا بد منه ولا يعرف للطلاق فضلاً إلا من رماه الزمان  
بامرأة جاهلة لا تفقه لذلك الاتفاق معنى ولا تعرف له  
اسماً فهنيئاً لقومٍ سمحت لهم به دياتهم . على اني أقول  
هذا والديانة المسيحية في جانب المعذرة لان الطلاق  
لا يوافق روح الانجيل البتة ويعرف ذلك من طالعه حق  
المطالعة . على ان اولئك الذين يتعمدون الطلاق لغير سبب  
موجب تنقطع عنده أسباب الاتفاق واساليه قد يفضون  
العدل ولا يرضون الله والله يمقت الظالمين ويحب المحسنين  
ومعلوم ان التعاليم الدينية قد أغفلت بعض اصلاحات  
دنيوية لتعذر الاصلاح وانا طت تغيير ما تعذر اصلاحه  
لرسوخه بالآداب والمعارف ومن ذلك شيء من مسألة

المرأة . وقد مرّ بنا تأييداً لذلك ان منزلتها كانت تتقدم  
 بتقدم الناس في مدارج التمدن وتأخر بتأخرهم حتى انك  
 تجدها اليوم بحالة تعيسة عند أهل الحشونة . فالمرأة هي  
 مقياس التمدن يُستدل على درجته بها فالاميركيون الذين  
 اشتهروا بهاتيك العواطف السامية التي هي منهي الفضائل  
 هم في غنى عن هذه الشهرة لان منزلة المرأة عندهم تدل  
 عليها دلالة واضحة كما تدل منزلتها عند الاوربيين على  
 قصورهم في مصراقي الفضيلة اذ لا يزال عليها هنالك كثيراً  
 من الضغط . وليس المراد هنا ان نحذو حذو الامم العالية  
 في أمر نساءنا وانما المراد رفع المعتقدات الباطلة من عقولنا  
 بان نعتبر المرأة العامل الحقيقي في اصلاح الشؤون الدنيوية  
 فنأخذ في انهاضها من وهدة الجهل ونسعى في أمر  
 تعليمها حتى تبدو لنا منزلتها الحقيقية فيراها جهلاؤنا  
 مرأى العين



وكما تقدم ان التسلط والضغط اللذين لحق بالمرأة منذ  
 عاش الانسان على وجه البسيطة قد انحدر بها في دركات  
 الجهل والتعاسة وهبطا بها الى اقصى مهاوي الذل والخمول  
 حتى أضحت حالتها من حيث المدارك العقلية أشبه بالحالة  
 الحيوانية من غير الانسان ولا تزال كذلك في بعض الاماكن  
 من ممالكنا المحروسة عند من يستعملها استعماله لجماره  
 وثوره . وعليه فبعد ان كان احتقار منزلتها في عين الرجل  
 نتيجة ضعفها الجسدي أضحي نتيجة ضعفها العقلي فنقرر اذ  
 ذاك في ذهن الرجل انها أحط منزلة منه وانه أشرف منها  
 في الحلقة ورسخ معتقده هذا في عقله رسوخاً لا تزغزعه  
 الزوابع - وهنا أقول : ترى أي تعليم كان ينبغي ان تجيء  
 به ادياننا دفعاً لذلك المعتقد الوخيم الذي رسخ وتمكن فهل  
 هنالك بالنظر الى ما تحتمله المدارك العقلية أيامئذ أشرف  
 وأفعل من ذلك الاسلوب الالهي الذي جاء به نبي الله

موسى معلقاً حقيقته المؤذنه بالمساواة بيزوغ شمس العلوم  
 والمعارف . وهل يُعقل تعليماً أعظم وأفيد وأدعى الى  
 الصواب من هاتيك التعاليم التي جاءت بها الديانة الاسلامية  
 والمسيحية . فعلى م تآبى عقولنا الا الاعتقاد بالباطل اتظن  
 يا هذا ان ذلك الخضوع وذاك الضرب ينزلان شيئاً من  
 منزلة المرأة وأنت تعلم ان الجهل الذي كان سائداً في هاتيك  
 الازمنة يستلزم أعظم من ذلك . على اني اقول ولا أستحي  
 ان رجلا يرفع الضغط عن المرأة الجاهلة لا يكون الا على  
 شاكلتها لان من لا يغلظ على الجاهل يظلمه بل يظلم نفسه  
 اذا كان تمت علاقة تؤذن بامتداد ضرر الجهل اليه . ولست  
 أريد هنا الضغط المغاظ كلا وانما أردت الضغط الحسن  
 وفقاً للتعليم الديني الذي لا يضر بالمرأة من جهة ويفيدها من  
 الجهة الاخرى .

هذا وكأني بمعترض يقول : كيف يمكن الاقرار



بالمساواة والله سبحانه قد أباح الطلاق للرجل دون المرأة  
 فالجواب على ذلك ينطق به لسان حال طيبة المرأة فلواذن  
 الله لها ان تطلق رجلها لكان شغلها وعملها الطلاق ويات  
 القبيح الصورة والقليل المال والمشتغل رأسه شيئاً بلا  
 امرأة ولا يخفي ما في ذلك من الاضطراب والخلل بأمر  
 المعيشة ونظام العيال . ومعلوم ان المرأة أجري وراء الملذات  
 من الرجل وأميل الى طلاوة الجديد وأصبى الى الشكل  
 الحسن خلافاً لما يتوهمه بعض الرجال . ولو لم يقيدها  
 الباري تعالى بناموس أدبي اودع فيها الحشمة والحياء  
 لكانت احوالها الادبية تعيسة جداً بنوع لا يقل عن  
 تعاسة اولئك المنبئين في الملذات الفاسدة من شبان هذا  
 العصر ولعل هذا الناموس غير موجود في الرجل او هو  
 ضعيف فيه الا قليلاً فزيتها عليه من هذه الحيثية عظيمة  
 جداً ولكن لو أيسح لها مع ذلك الطلاق لرأيت لها في كل

مدّة بعلًا جديدًا اذ لا سبيل حينئذ لذلك الحفر الطبيعي  
 ان يؤخرها عن حقها الشرعي كلما تفرق هنالك منهل  
 صافٍ ودعاها داعي الخنين حيّ على الورود . فسبحان من  
 وسع علمه كل شيء فقدّر اعماله العجيبة بحكمة فائقة  
 أما قوله تعالى للمرأة « تكثيراً أكثر اتعاب حبلك  
 بالوجع تلدين اولاداً والى رجلك يكون اشتياقك وهو  
 يسود عليك » كما جاء في التوراة . فيظهر من تعاليم الديانة  
 المسيحية انها حملت تلك السيادة على الغضب الالهي على نحو  
 ما قلنا فيما سبق بدليل انها لم تبين عليها فرقاً في الاحكام  
 الدينية الدنيوية بين الرجل والمرأة فسوّت بينهما تسوية  
 تامة ولا ريب انها رأت في السيادة المنوه عنها ما رآته في  
 قولها « فلتخضع المرأة لرجلها » فكانها صرفتها الى الاغراض  
 التي يُصرف اليها الخضوع على نحو ما صرّ بنا . ولعل للديانة  
 المسيحية في ذلك عذراً واضحاً لان ما يأتي عن غضب



يذهب به الرضى . وعليه فان لكل من ادياننا الخيار بين  
 ان تأخذ بشأن تلك السيادة باعتبار كونها امر الهي وبين  
 ان تُغفل امرها بكونها صدرت عن غضب . على ان الاسلام  
 قد اخذ باعتبار الجانبين فتجد من جهة انه قرر السيادة بقريرا  
 قضى بالفرق بين الرجل والمرأة في احكام معروفة التي منها  
 الحكم الالهي « ولذا ذكر مثل حظ الاثنتين » وتبرى من  
 جهة اخرى ان ليس في الشرع الشريف ما يدل على فرق  
 في المنزلة بين المرأة والرجل . والمراد هنا بعدم الفرق في  
 المنزلة وحدة الحلقة اي انه ليس بينهما من فرق في الجوهر  
 الانساني البتة . وحاش للاسلام ان يقال فيه ما يقوله  
 الجهلاء والغرباء الذين لم يلموا بأحكامه لانه والحق يشهد  
 لم يكن الا لينظر في الاحكام الدينية من كل وجوهها فهو  
 يمتاز من هذه الحيشية عن غيره من الاديان الالهية مما  
 يدلنا انه متجه بجملة نحو الكمال

واذا كان غرض الجمالة تبيين الاضرار والتحذير منها  
 مهما كان نوعها رأينا هنا قبل الانتقال من موضوع المرأة  
 ان نأتي على ذكر طرفٍ مما يُعرف عندنا بالغيرة لانها  
 كثيرًا ما تكون سبباً للقتال والشروع بين الرجل  
 وامرأته بحيث يندو ذلك البيت الذي تأواه الغيرة القبيحة  
 مقراً للغموم والاكدار ونكد العيش وما اقبح الحياة اذا  
 كانت كذلك . ولا يخفى ان المرأة هي التي تصون نفسها عن  
 الدنيئة وليس رجلها الذي يصونها فاذا آانس الرجل في  
 امرأته حشمة وجياء ولا تكون الزوجة الا كذلك  
 الا نادراً فعليه ان يدعها وشأنها لانها أعف من ان  
 يراقبها فهي من هذه الحيثية اشرف منه وأفضل بكثير  
 فالاليق به ان يصون نفسه عن الدنيا لان ذلك أدعى الى  
 راحتِهِ وصفاء عيشه وأحفظ لشرفه . على ان كثرة المراقبة  
 قد تنبه ذهن المرأة العفيفة حتى اذا اشتدت عليها وطأتها



دفعها الى المنكر انتقاماً من رجلها. وليس المراد هنا الخوض  
 في هذا الموضوع الغير اللائق وانما اردنا التنبيه الى قبح  
 هذه العادة لانها جارية في بلادنا بكثرة خصوصاً عند  
 الجهلاء على انها لو كانت ذات خير لما أغفل امرها الغربيون  
 الذين يفتشون عن الخير بالقتيلة والسراج كما يقول العامة  
 والذين يظنهم جهلاؤنا ان لا غيرة لهم على نساءهم وهم  
 أشرف من ان يُظن بهم كذلك وانما آلوا على أنفسهم  
 ان لا ينظروا الا الى الحقائق الراهنة فهم يرفضون كل  
 باطلٍ ووهم وليس التميس في الدنيا سوانا لاننا نسعى وراء  
 النعم والقهر حتى في بيوتنا حيث نلتمس الراحة والسكينة  
 واعلم ان الخالق سبحانه لم يخص الرجل بالقوة حتى  
 خص المرأة بمزايا سامية لم تكن القوة الجسدية لتمد شيئاً  
 في جنبها الا اذا قلنا ان هذه القوة تقضي زيادة في القوة  
 العقلية . لان للمرأة من العواطف الشريفة والخواطر

السريعة ما يقضى بالعجب وهي على ضعفها ورقة عاطفتها  
أقدر من الرجل على تحمل الرزايا والمحن ولها من عنوبة  
اللسان مع ما أودع الله فيها من اللطف والظرف والأدب  
ما يساعدها على تخفيف المصائب عن رجليها. والذي مرض  
وكانت ممرضته امرأة يعرف مالها من الاقتدار على أساليب  
التسلية وتخفيف الآلام فهي بالحقيقة ملاك أرضي ولقد  
أصاب من سماها بالجنس اللطيف ولكن قبح الله الجهل  
الذي ذهب بها كل مذهب حتى كاد لا يعرف لها في  
بلادنا قدر ولا شأن .

هذا ولقد سبق لنا في المقالة السابقة استلفات أولي  
الأمر إلى تحسين مدارس الإناث والذي نراه أنه يجب  
أن يكون تعليمهن الآن مقصوراً على كيفية تدبير المنزل  
وتربية الأولاد إلا قليلاً مما لا بد منه . فالاصطلاح الجاري  
الآن في مدارسهن عندنا لا يفيدنا شيئاً وإنما يفيد الغربيين



الذين نظموا المرأة في سلك الاعمال حتى صارت كالرجل  
فضلاً عن ان المرأة عندهم قد صارت قادرة على تدبير  
منزلها وتربية اولادها على ما ينبغي من ذات طبيعتها أي  
بدون ان تتلقن ذلك من معلم . فاذا بحثنا بين نساء المشرق  
عندنا عن امرأة كذلك فلا نكاد نجد واحدة من مئة أو  
مئتين أو لانجد من أكثر من ذلك في بعض الاماكن .  
ولا يخفى ان الانسان لا ينبغي له ان يسعى وراء ما فوق  
حاجته حتى يظفر بالحاجة نفسها والا ذهب بسعيه ضياعاً  
فالحاجيات أولى من الكماليات بكثير فلا يجمل بنا اذا ان  
نتعاضى عن الحاجة وننظر الى ما فوقها في حين لا تسمح  
عوائدنا بانخرط المرأة في سلك الاعمال . فلا بد لنا  
والحالة هذه من تعليمهن تعليماً يتكفل بحاجة البلاد حتى  
اذا ظفرن بهذه الحاجة الكبرى امكن لهن بعدئذ ان يخضرن  
في ما فوقها استعداداً لما يُظن من امكانية انخرطهن في

ذلك السلك مما ليس بمستبعد لان العوائد الغربية آخذة  
 عندنا في مدارج الارتقاء . أما الآن فسيبيلنا ان نهتم  
 بالحاجة أولا الا ترى ان من نسانا اللواتي دخلن المدارس من  
 لا تحسن تربية ولد واحد لها فماذا عسى يفيدنا ان نراها  
 تكتب وتثني وترسل الجرائد وهي قاصرة عن القيام  
 بواجباتها البيئية على نحو ما يقتضيه هذا العصر . لاجرم ان  
 الاهتمام باصر مدارسهن حتى تكون على نوع يتكفل لنا  
 بنوال الحاجة لمن اهم الواجب الحاضرة .

### (الدين والتمدن)

يزعم الكثيرون عندنا ان التمدن ينافي الدين بدعوى  
 ان الغربيين ما حصلوا عليه الا بترك العقائد الدينية فهم  
 والحالة هذه يؤثرون الجهل على التنوير بنور الحقائق  
 ويعدون كل متمدن مفتونا في دينه وربما عبروا عن  
 الكفر بالتمدن بدليل انهم اذا آتسوا في امرء صروقا



الدين قالوا انه متمدن ولا غرو فان الجهل اذا ضرب أطنابه  
في بلاد خبط أهلها في ظلمة ليل بهيم ليست ظلمات الليالي  
من الايام الا شمساً ازاءها .

وليس يخاف ان للتمدن حالة ادبية شريفة تعصم التمدن عما  
يشينه فشانها من شؤون التعاليم الدينية وما كان كذلك فهو  
خليق بالاعتبار والاتباع . فالتمدن من حيث هاته الحالة  
يعد في عداد الادب الديني وهو مع ذلك لا يخرج من  
حيثية حالته الاخرى عما يقتضيه الدين البتة وسيأتي بنا  
ما يوضح لنا ذلك توضيحاً جلياً .

ولا مشاحة ان الغربيين حصلوا التمدن بترك ما يوهم  
انه من العقائد الدينية لا بترك العقائد نفسها لان تركهم  
لهذه اخيراً قد اضر بهم كثيراً واضراره آخذة عندهم  
بالازدياد اذ قد نشأ عنه عوائد زائفة مخلة وهي التي مقتصرون  
نحن عليها في الاقتباس عنهم على حسن معتقدنا بصحة

الدين اذ ليس في وسعنا اقتباس الصالح مما منشأه ترك العقائد  
الباطلة مادما نخالها من متعلقات الدين وليس بالغريب اذا  
جاريناهم في ما نجم عندهم عن ترك العقائد الدينية على عوده  
بالاضرار على الدين والدنيا معاً وخالفناهم في ما يعود عليها  
بالمنفعة حرصاً على عقائد باطلة ليست من الدين في شيء . لان  
الجهل يأتي بما هو اشرب من ذلك كثيراً فاذا قابلنا  
بيننا وبينهم من حيث الفضائل والاعمال الخيرية نقف على  
اصر جزيل الاعتبار ذلك انهم على تركهم للدين يمارسون من  
شعائر الانسانية ما يقال عنده ان هذا هو الدين بعينه ونحن  
على تمسكنا به لانأتي الا بما يشف عن الظلم والاذى  
والقساوة والنفرة والعداء ونحو ذلك مما هو مغاير للدين  
بكلية . فينتج من ذلك ان التمدن مستودع الادب والفضيلة  
وان الدين اذا خلا أهله من التمدن يتعذر قيامه فيهم على ما  
ينبغي وهذه النتيجة مشاهدة عياناً فلا سبيل الا لاستخراجها



مما تقدم . ذلك ما يدلنا دلالة واضحة على غرابة اضرار  
 الجهل وانه مصيبة عظيمة على الانسان في الدين والدنيا .  
 وقد يحسب الجاهل نفسه سعيداً لعدم ادراكه كنه السعادة  
 ولكن هذا لا يفي كونه شقيّاً تعديساً وبضدها تتبين الاشياء .  
 هذا واذا أمعنا النظر في سعادة الغربيين من حيث التمدن  
 وفي مانابهم وسينوبهم من الاضرار الناجمة عن ترك الدين  
 يتضح لنا ان الدين والتمدن اذا اجتمعا معاً كانت السعادة  
 عظيمة جداً . اما القول بتنافيها فهو حماقة وجهل لانه  
 قولٌ يخالف الحق والواقع كما اتضح ويتضح اكثر مما سيأتي .  
 لا يخفى ان شعائر الاديان الوثنية تقتضي تعليق اكثر  
 الاعمال والعوائد بالدين فيحافظ الوثنيون على عوائدهم  
 القديمة اشد المحافظة ويبدعون كل عمل جديد غير ناظرين  
 الى ما هنالك من فائدة تستلزم الاقبال عليها او مضرّة  
 يقتضي نبذها . ولا يخفى ايضاً ان الله سبحانه عند ما أنزل

كتبه المقدّسة لم يبعث لها باجواق من الملائكة ولا خلق  
 لها خلائق جديدة وانما دعا اليها بواسطة رُسُلِهِ الاطهار  
 اولئك الوثنيين أنفسهم الذين نحن منهم وهؤلاء الرُسُل  
 عليهم السلام لما لم يجدوا لاكثر هاتيك العوائد الراسخة  
 تعلقاً بالدين نظروا في أمرها من حيث المنفعة والمضرة  
 فنبذوا ما أمكن نبذه وجاروهم في بعضها وأهملوا البعض  
 الآخر مسكوتاً عنه لتعذر ازالته . ولا شبهة في ان الذي  
 جاروهم فيه اكثره من متعلقات المعيشة وما جرى مجراها  
 مما لاغنى لهم عنه لانهم عليهم السلام انما كانوا بشراً  
 مثلنا يأكلون الطعام ويلبثون الثياب الى غير ذلك من  
 ملابسات الحياة ومشمولاتها مما يختلف هيئةً وشكلاً  
 باختلاف الاحوال والظروف وأذواق الامم . فاذا نزعنا  
 اليوم اللباس القديم مثلاً ذلك الذي كان يلبسه الوثنيون  
 واستعمله الرُسُل والمؤمنون من بعدهم ولا يزال بعضه



زي الكثيرين الى يومنا هذا ولبسنا اللباس المصطلح عليه  
 في هذا العصر فلا نكون عملاً شيئاً يخالف الدين وانما  
 اتبعنا العوائد العصرية التي اتبعها انبياء الله أنفسهم لانهم  
 عليهم السلام لم يجيئوا بهاتيك الازياء من عندهم بل هي  
 كما تقدم من ازياء هاتيك العصور فلو كانت ازياء هذا  
 العصر من ازياء ازمتهم لكانوا استحسوها واستعملوها  
 كما استحسوها واستعملوا تلك لا محالة . فاذ قد علمت هذا  
 فقس عليه كل ما استحس دينياً من مأكّل ومشرب ونحو  
 ذلك من مقتضيات الحياة ومتعلقاتها ولا تخش اثماً واخش  
 الله بان تحافظ على لباس التقوى فتجتنب الشر وتعمل الخير .  
 وأما الذي أهملوه مسكوتاً عنه لتعذر ازالته فهو  
 مشحون بالخرافات والمعتقدات الوخيمة . على ان الحق  
 سبحانه لم يتركها وشأنها بل قد بث في شرائعه المقدسة  
 روح التمدن واناط به تغيير العوائد المجحفة ونبذ العقائد

الباطلة فحيث لا يكون تمدن لا يؤمن شر ذلك الذي ظلَّ  
 مسكوتاً عنهُ بحكم الضرورة وعليه تجمد المؤمن الجاهل  
 يخاط الحقائق الدينية بالخرافات الوثنية ولا يدري اذ قد  
 تداول الناس ذلك المهمل خلفاً عن سلف جيلاً بعد جيل  
 من أيام أسلافنا الوثنيين الى يومنا هذا ولدينا الآن كثيرٌ  
 من ذلك يعمل به جهلاً ونا وأهم ما لدينا منهُ عادة ذهاب  
 اولئك الاسلاف الى تعليق أكثر الاعمال والعوائد  
 الدنيوية بالدين وتبديعهم لكل عمل جديد ولو حسناً .  
 على ان الكتب الدينية قد ذكرت أشياء بحكم الضرورة  
 من ذلك المسكوت عنه اضطراراً بدليل ان كلا منها ذكر  
 شيئاً لم يذكره غيرهُ الا ان العقلاء الذين يدركون الحقائق  
 ويعلمون ان المقصد الالهي من الدين ليس الاَّ العبادة  
 الحقيقية والسلوك في طرق الادب والفضيلة والرحمة  
 يصرفون النظر عن كل ماخرج عن هذا المقصد ولو كان



مذكوراً في كتب الدين لان ليس كل مذكور هنالك دينياً .  
 فباعتبار ما تقدم تقسم تعاليم الانبياء الاطهار الى  
 قسمين قسم جاؤا به من عند الله وهو تعليم ديني صرف  
 متجه بجملة الى الاحكام الدينية غير خارج عن فحوى  
 الكتب المنزلة وقسم أخذوه عن الذين بعثوا اليهم وهو  
 سواء أخذ استحساناً أو اضطراراً فلا دخل له في الاحكام  
 الدينية أي انه لا يترتب عليه ثواب أو عقاب خصوصاً وهو  
 خارج عن فحوى الكتب المنزلة . فالضابط الحقيقي هنا هو  
 ان الاول كاشف للكتب المنزلة فاذا رأينا تعليماً لا احد الانبياء  
 عليهم السلام ليس في الكتاب المنزل الذي جاء به معنى  
 يشير الى ذلك التعليم فهو من قبيل القسم الثاني والا  
 فهو من قبيل الاول . اما الثاني فلنا الخيار بين ان  
 نسلك بمقتضاه اذا لاءم عصرنا وبين ان تغفل أمره اذا  
 لم نرفيه الملاءمة ولا حرج علينا ولا اثم لان ما كل ما لا ثم

هاتيك الصعور يلاثم عصرنا . والغالب ان هذا القسم  
 لا يخلو من تعاليم دخيلة على نحو ما أشرنا في المقالة الاولى  
 لانه لما كان خارجاً عن فحوى الكتب المنزلة كان التصرف  
 فيه سهلاً على الاشرار ذوي الاغراض الشريرة . على ان  
 من هذا القسم أيضاً ما جاء من باب الحكاية للحديث  
 والمسامرة ومهما يكن من أمره فقد تقدم انه ليس من  
 الاحكام الدينية التي يترتب عليها ثواب أو عقاب فتأمل  
 ولا نحب ان نترك هذا الموضوع ما لم نأت على مثال  
 بسيط ولو جاء ثقيلاً على الجهلاء لان خير الكلام من هذا  
 النحو ما جاء بمثل يبسط مطاوي الحقيقة . فالانبياء الكرام  
 قد علموا بالاصابة بالعين ولكن هذا التعليم لم يأتوا به من  
 عندهم لانه من موضوعات الاولين ومعتقدات الامم  
 السالفة وانما الباعث على استحسان الانبياء لها هو كون  
 الاصابة بالعين مرضاً كسائر الامراض ولا يخفى ان المرض



سواء كان من قبيل الاصابة أو لم يكن فعلى المريض ان يتوسل  
الى الله بواسطة بعض من خدمة الدين ان يشفيه من مرضه  
ولما كان الاولون يحملون أكثر الامراض أو كلها على العين  
كما لا يزال الامر كذلك في أماكن الجهل عندنا وكان لا بد  
للتعليم الديني ان يأمر المريض بالتوسل الى الله لم يجد الانبياء  
مندوحة عن استحسان الاصابة لما انها أبعث على فزع المريض  
الى ذكر الله . وعليه فقد جاء رسوخها في الاذهان وسيلة الى  
اقامة الغرض الديني المنوّه عنه بلا تعب فتأمل . أما كون  
عين الناظر تضر بالمنظور اليه فذلك أمر لا يعلمه الا الله  
وانما نقول ان لا الاعتقاد بذلك ينلنا ثواباً ولا عدمة  
يوقع علينا عقاباً لان المراد الديني به ان نستعطف الله عند  
المرض ونستغفره ونسأله اللطف فاذا قننا بهذه الشعائر  
الدينية كان الدين محفوظاً لدينا سواء اعتقدنا بالاصابة أو لم  
نعتمد وليست الاصابة في نفس الامر الا أمراً خارجياً

لا تعلق له بالدين الا من حيث ما علمت . على ان الانجيل  
 قد جاء بذكر هذه العين الا انه لم يقصد بهما معتقده وانما  
 جاءت هنالك بمعنى العين الشريرة المعروفة بعين السخط  
 الا ان الكنيسة لم ترد بداء من التعليم بالاصابة فاضطرت  
 الى تقريرها حملاً على ما تقدم ولا اشكال فيه على ما ارى  
 مع قصر باعي

ولا يخفى ان من كلام الانبياء ما لا ينظر فيه بحسب  
 الظاهر من معناه لان هنالك تعاليم كثيرة جاءت صرموزاً  
 بها الى اغراض دينية . فقد قال نبي من انبياء بني اسرائيل  
 ما يفيد بان الله سبحانه وتعالى يأخذ الابناء بذنوب الآباء  
 ثم قام بعده نبي آخر فقال ان النفس التي تخطي هي تموت  
 أي ان الابن لا يؤخذ بجريمة أبيه . فالى أي غرض توجه  
 كلام النبي الاول الذي ظل معمولاً به زمناً طويلاً حتى  
 ضرب عند الاسرائيليين ذلك المثل القائل «الآباء يأكلون



الحصرم والابناء يضرسون ، أليس الى ردع الناس من  
 ارتكاب المعاصي رافة بأولادهم اذا كان لهم بذلك أقوى  
 رادع - تأمل هنا في أساليب الحكمة الالهية ووقف متعجباً خاشعاً  
 ولا أمرٌ مسلم به من عموم المعتقدين بالوحي ان الله  
 تبارك شأنه لم يبعث للناس رسله الا طهار الالسيبين كبيرين  
 الاول ليعرفهم بقدرته الخالقة وانه وحده رب العالم أجمع  
 والثاني ليعلمهم شرائعه الالهية التي تقودهم الى الارتباط  
 الادبي وتسير بهم نحو الكمال . ولما كان هذان السبيان  
 لعظيمان هما المقصود من مجيء الانبياء وجب ان نعلم ان  
 ما قد ورد في كتب الدين من القضايا الخارجة عنهما لم يكن  
 وروده كشيء ديني يقتضي الثواب أو العقاب لان ما قد خرج  
 عن حكم السبين المذكورين المبني عليهما جوهر الدين لا يعتبر  
 في نفس الامر شيئاً دينياً الا باعتبار كونه مذكوراً في  
 كتب الدين . فاذا وجد من ذلك شيء يخالف أحكام هذا

العصر وجب حمله على مادعت إليه أحكام هاتيك العصور  
التي جاءت فيها الانبياء لانه لم يكن هو المقصود من  
مجيبهم فتأمل<sup>(١)</sup>

لما كان الغربيون على شاكلتنا في التمسك بمعتقدات  
الاولين الخرافية كانوا يقاومون الحقائق ويبدعون كل  
اكتشاف جديد واستنباط مفيد وتاريخهم في ماوراء تمدنهم  
مشحون بذكر المنازعات والمقاومات في هذا الصدد فكان  
قلما ينجو عندهم أحد من ذوي العلم والفضل من الوقوع  
تحت طائلة الاضطهاد الا اذا آثر الباطل على الحق خوفاً  
من العذاب فنأدى بغلظه وجاراهم في خرافاتهم التي كانوا

---

(١) هذه الفقرة من مقالة لنا عنوانها (مسألتنا الدينية) مدرجة في  
المجلد الخامس عشر من المقتطف وقد اخذناها بحروفها ما خلا  
الآخر منها وذلك اولا لاحتياج الموضوع اليها وثانياً للإشارة الى  
ما لهاتيك المقالة من العلاقة بمقالتنا هذه فعسى ان يطالعها قراء  
الجمانة لانها مفيدة في هذا الباب



يزعمون انها دينية وان هي الا ترهات جاءت بها اساطير  
 الاولين واغراض المتأخرين - كل ذلك كان يحدث وقوعه  
 من قبل خدمة الدين اذ كان لهم هنالك سلطة عظيمة تفوق  
 سلطة الحكومة وحيث يكون الامر كذلك يسوء حال  
 الرعية . على انه سواء كان الامر كذلك او لم يكن فالجهل  
 هو سبب الضرر وعليه فان تسلط خدمة الاديان على العقول  
 لا يقف عند حده الديني الا بانتشار العلوم والمعارف اذ  
 يعرف حينئذ كل من الفريقين خدمة الدين والشعب  
 واجباته الخصوصية . قابل بين التصرفات القديمة التي  
 كانت لخدمة الدين في المغرب ايام الجهل وبين اعمالهم في  
 هاته الايام حيث عرفوا واجباتهم الدينية تجمدا ان الذنب  
 ذنب الجهل وحده دون سواه . على ان في بلادنا والحمد لله  
 من رؤساء الاديان من هم زينة الدين والدنيا الا انهم  
 لسوء الحظ قلما يوجدون الا في اماكن محدودة وأكثر

البلاد خالية منهم .

نقول: ترى أي عاقلٍ يقدر الحقائق الدينية حق قدرها ويرى بعينيه استنباط عمل جديد يمكن من تعميم المعارف الدينية والديوية بانتشار كتبهما بين أيدي الناس بعد تعذر اقتنائها على الخاصة فضلا عن العامة ولا يعد ذلك الاستنباط ضرباً من الوحي الالهي . ألم يحسب خدمة الدين في المغرب هاتيك الكتب المطبوعة التي جاء بها مخترع الطباعة عملاً من أعمال الشياطين . أرأيت يا هذا اين تكون الخرافات الوثنية وما قولك بها اذا كانت مشفوعة بنصرة نصرآء الدين فهل هنالك غير خلع الطاعة واغفال العقائد الدينية الصحيحة التي يجلبُ جوهرها المقدس عما ينسبها اليها اولئك المؤمنون عليها . فان لم يكفك ما تقدم عن الغربيين فتعال لا ريبك أما كن الخرافات الوثنية عندنا باكثر وضوح . انظر هداك الله الى ما عانتهُ الجرائد العلمية في بلادنا ولا تزال تعانيه



لاقل عشرة خرافية وأبسط ما هنالك وأقربه فهماً وأحسنه  
 مثلاً لموضوعنا مسألة الدودة التي قيل إنها وجدت داخل  
 بلاطة الفرن والتي من أجلها أفرغت جعبة اللوم والتكفير  
 على المقتطف الاغر من كل صوب ولولم يكن القائم بعبء  
 انشائه من العلماء لمزقته نبال هاتيك الدودة كل ممزق  
 وخسرنا مجلة كريمة علمية يتعدّر قيام مثلها في بلادنا - ترى  
 ألم يملأ عيوننا ويشبع قلوبنا من الايمان بقدره الصانع  
 العظيم ما نراه كل يوم من عجائب اعمال هذا الكون البديعة  
 مما هو مبسوطاً امامنا ومرفوع فوقنا حتى نغرزها بعجبية  
 سخيفة مثل هذه . أليست الطبيعة التي تكذب هكذا عجائب  
 خرافية هي نفسها من معجزات الخالق مؤكدة لصحة الدين  
 لما انها خاضعة لنا موسى يقرر عظمة الباري تعالى أنكذب  
 الطبيعة الناطقة بعجائب الله ونصدق الدودة وشهداؤها  
 على شكها والا فجرأئنا العلمية كافرة . أرأيت يا هذا أين

تكون الحرافات الوثنية فاحذر ان تأتي بما يعود على الدين  
 بالاحتقار من حيث تعتقد المحاماة عن شرفه لانه أجل وأشرف  
 بما لا يقاس من ان ينزل منزلة حطيطة مثل هذه ولك ان تقيس  
 على خرافة دودة القرن كل ما يترآى لك دينياً من هذا النحو  
 ولا تعجب لا اتصال عوائد الوثنيين الينا وقد حال دوننا ودونهم  
 الالف والالفان من السنين لان الجهل يعمي البصائر والابصار  
 معاً حتى يسهل الامتداد بتداول القبيح الى ان يتسح الله لعباده  
 الاخذ بمحقات الامور

ولا يخفى اننا معاشر المتدينين بالاديان الالهية لانعتقد  
 بعجائب خارقة للطبيعة مالم يكن هنالك امور خارقة من  
 نحوها جاءت بها وهذه الامور الخارقة انما خصت بانبياء  
 الله ورسله عليهم السلام وقد جاؤا بها تأسيساً للشرائع  
 الالهية وتعظيماً لكرامتهم الفائقة . على ان للاولياء والقديسين  
 يدأ في صنع العجائب بما نالوه من الزلفى لدى الحق سبحانه



ولكن مهما يكن من أمر هؤلاء { رضي الله عنهم } فلا تقاس عجائبهم بعجائب الرسل والانبياء لما ان الغرض من عجائب الفريقين متباين . فدودة القرن لوقال لنا قائل انها وُجِدَت داخل بلاطة كأنة على مزارولي او قديس وجب علينا تصديقه ولكن هذا التصديق لا يتعلق به تكذيب الطبيعة ولا تثبت الدين وانما هو أمر خارجي مسنقل لا تعلق له سوى بكرامة صاحب ذلك المزار فالطبيعة لا يكذبها مكذب الا اذا شاء الصانع العظيم ان يُبدل من ناموسها الحاضر الموضوع لها منذ التكوين طريقة تتلاعب بها كيف شاءت وهذا باطل . والدين غير محتاج الى معجزات الاولياء والقديسين فصحته أرفع من ان تقع تحت هذا الحكم ذلك ما قصدناه بقولنا آنفاً ان الغرض من عجائب الفريقين متباين على اننا ما زلنا ولن نزال نلتجئ في كل دقيقة من حياتنا الى المراحم الالهية ونطالب اليه تعالى ان يتعاهدنا عند

الشدة والضيق كما كان يتعاهد آباءنا وان يدفع عنا  
بمعجزات قوية مطامع اعدائنا ويؤمننا في اوطاننا ولا  
يؤاخذنا بما يفعل السفهاء منا والله سميع مجيب .

هذا وان انبياء الله الكرام انما جاؤا ليعلموا الناس  
الشرائع الدينية وحدها دون سواها كما يستدل من فحوى  
الكتب المنزلة ومن مال تعاليمهم نفسها . فاذا قال اليوم  
أهل العلم مثلا ان الارض كرة تدور حول الشمس فلا سبيل  
للاعتراض عليهم وتكفيرهم بحجة ان هذا القول يخالف  
الدين لان شكل الارض وحركتها من متعلقات العلم والعلم  
شيء والدين شيء آخر فالذي يطالع الكتب الدينية حق  
المطالعة لا يجد هناك أدنى تعرض للمباحث العلمية فهي  
خالية منها خلواً تاماً وانما جاء فيها ذكر الارض ونحوها من  
المخلوقات العظيمة اظهارة لقدرة المبدع العظيم شأن التعليم  
الديني لما هنالك من دعوة الناس الى عبادة الخالق . ولما



كان المعروف من أمر الارض في تلك الازمنة انها منبسطة  
 ثابتة كان لا بد من ورود ذكرها في الكتب المنزلة على نحو  
 ما يفيد ذلك . فلو كانت أيامئذ معروفة انها كرة دائرة  
 حول الشمس لذكرتها الكتب الدينية كذلك بملء السرور  
 لان في كونها كرة دائرة في الفضاء دلالة عظمى على قدرة  
 الخالق جل جلاله . ولكن لم يكن من غرض الاديان الالهية  
 ان تعلم الناس تعليماً غير الشرائع الدينية لما في ذلك من  
 تخطي المراد والخروج عن المقصود مما يحجف بأهمية  
 التعليم الديني .

ولقد تقدم معنا ان الكتب الدينية نظرت في معتقدات  
 الامم السالفة من حيث المصرة والمنفعة وعليه فقد قررت  
 كل ما كان منها غير ضار سواء طابق العلم أو لم يطابقه مما  
 يبرهن لنا ان العلم ليس من غرض الدين في شيء خصوصاً  
 وليس لدينا دليل ديني يؤذن بغير ذلك فعلى من يزعم الامام

بالتعاليم الدينية ويقول خلاف ما قلنا ان يأتينا بدليل ديني  
 يدل على تعلق العلم بالدين ان كان من الصادقين والافليقت  
 الله وليكف عن الجناية على الدين . على ان من ينعم النظر هنا  
 قليلا يرى جلياً ان القول بتخطئة اهل العلم وتكفيرهم لا  
 يقوله الا الجاهل لان نتيجته تقضي ان تكون الكتب  
 الدينية كتباً علمية اذ يترتب عليه السؤال الآتي وهو « هل  
 الكتب المنزلة علمية » والمعنى اننا اذا قلنا لاهل العلم انتم  
 كفار لانكم تقولون بخلاف ما قاله الله وأنبيأوه كان لهم  
 علينا حق الاعتراض بأن يسألونا ذلك السؤال بعينه . ومن  
 المعلوم في بدائه العقول ان ليس بيننا نحن معاشر المعتقدين  
 بالوحي من يجسر على القول بأن الكتب المنزلة كتب علمية  
 أو انها دينية وعلمية معاً . فلا جرم ان تكفيرنا لاهل العلم  
 سفه وافتراء على الله لانه سبحانه وتعالى انما أنزل كتبه  
 المقدسة ليعلمنا بها أحكامه الالهية وشرائعه الادبية



لا لتكون بديلة من هاتيك الكتب التي يتعلم بها اليوم  
 أولادنا في المدارس العالية وعندني ان تمحل المطابقة بين  
 الدين والعلم من الامور التي لا حاجة اليها وقد لا ترضي  
 واضع الدين على الغالب ولكن أبت عوائدنا الا المطابقة  
 بينهما وصبر جميل . ولعل ذلك نشأ عن مقاومة خدمة الدين لاهل  
 العلم اذ نبهوا بمكابرتهم الازهان وهوروا بالمؤمنين وما خدمة  
 الدين في المغرب الا مسرؤلون أمام الله عن كل ذلك لانهم  
 أصل السبب . أما القول بعدم علاقة بين الدين والعلم  
 فهو قول لا يتخلله شك لان الدين جوهر مقدس لا يمسسه  
 ماس من مواس الدنيا البتة

ومن الغريب ان الطفيف من أعمالنا المتعلقة بالامور  
 الدنيوية لا يخلو في كثير من الاماكن في بلادنا من وجود  
 من يزنه بالميزان الديني حتى كأن الدين أشبه بهاتيك  
 السلسلة الذهبية { أستغفر الله العظيم } التي قيدت بها ملكة

المشرق قديماً وسيقت أسيرة الى رومية . وحبذا لو وقفنا  
عند هذا الحد المصاغ بالذهب لعل اللياقة تشفع بما هنالك  
من وصمة التقييد ولكننا قد جعلنا هاتيك السلسلة حديداً  
أو أدنى فأصبحنا أسارى مغلولي الايدي نرى بأعيننا  
أسباب التقدم وليس من يد هناك للاخذ بها . على اننا  
لا نعلم سبباً لهذا الاسر الديني والله سبحانه قد أباح لنا  
التمتع بسعادة الدنيا غير ما هنالك من الجهل فقبح الله الجهل  
ما أحجبه للحقائق دينية كانت أو دنيوية - وهنا ليس من  
شيء أدعى الى التعجب من ان نرى بين معاشر اهل الكتب  
المنزلة انساناً مقيداً على نحو ما تقدم والقرآن الكريم كتابه -  
على ان كل ما لدينا من قبائح الجهل ورزاياه هين في جنب  
هذه النفرة وتباعد القلوب عن الولاء والاخلاص مما  
يفعله التعصب الوخيم التي كاد يفني حياتنا وينحدر بنا في  
دركات الشقاء والتعاسة فعسى ان يقوم من أرباب الاقلام



عندنا من يأتينا بما يشف عن عدم جواز التعصب دينياً  
 فنكتفي نحن والبلاد شر هذا السم الذي يربو على سم الافاعي  
 ولا مشاحة ان الغرض يزري بالانسان فيجيد به عن  
 جاذة السداد في أمر نفسه ويعدل به عن السراط المستقيم  
 فصاحب الغرض يرجح موازينه مهما خفت وعنده كل  
 ما سواها خفيف ولو كانت هنالك القناطير المقنطرة فتراه  
 يصرف قصاري جهده في استخدام ما اتصل اليه يده من  
 الوسائل قضاءً لبغيته غير ناظر الى ما هنالك مما يستخدمه  
 خيراً كان أو شراً . هذا وأفعل الاغراض وأرسخها في  
 النفس الغرض الديني وليس المراد هنا وجوب نزهة المؤمن  
 عن هذا الغرض كلاً لان من لا يتعصب لدينه لا دين له  
 وانما المراد ان يقع الغرض الديني في موضعه مؤذناً بالصواب  
 والعدل فان لم يكن كذلك جرى مجرى الاغراض الدنيوية  
 الجائرة التي هي مصدر الشرور في العالم . فالاغراض

الدينية الجارية الآن في بلادنا ليست من الدين في شيء  
لأنها خارجة عما يقتضيه العدل الديني فتأمل .  
ومعلوم أنه ما من شيء أشد انفعالا في النفس وأدعى  
إلى النفرة والضعينة من مس الكرامة الدينية وقد قال الله  
تعالى « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله  
عدواً بغير علم » فكم أحرى بنا الابتعاد عن مسببة من كان  
كتابه منزلاً أليس الكتب المنزلة جميعها جاءت بأحكام الله  
فهل من وسعنا أن نحكم بزمية كتاب على آخر ومن نحن  
معاشر العبيد الباطلين حتى نعترض على أعمال سيدنا وخالقنا .  
أنكفر المسيحي وهو صاحب الإنجيل الذي سكب الله فيه  
نعمته وفضله أم نكفر غيره والعياذ بالله والقرآن الشريف  
مفعم من لدن الله أحكاماً أيجوز أن نقول للإسرائيليين أنت  
كافر والله قد قال في كتابه العزيز « وكيف يحكمونك  
وعندهم التوراة فيها حكم الله . الأي من هؤلاء الثلاثة



يجوز لنا ان نقوله وكلُّ منهم لديه كتاب الله . ألم يُكره  
 الوثنيون على التدين بالاسلام ويُترك أهل الكتاب مخيرين  
 راتعين في مجبوحه الامن والسلم أو لم يُعطوا العهد  
 والامانة والضمان . أتجهل ان أهل الذمة غير اولئك  
 الاعداء فاذاً على فرض فتحت دولةٌ منهم حرباً علينا فاي  
 دخل بل أي ذنبٍ لهؤلاء المستوطنين في بلادنا الذين  
 صاروا في كنفنا منذ الف وثلثمئة عام ولا يزالون مستظلمين  
 بما يتناوز ما منا يدفعون الجزية عن يدٍ وهم صاغرون .  
 ألا ترى كيف انهم لاقل حادث يحدث علينا من ذلك  
 النحو يبيتون عندنا في خوفٍ ووجل حتى كانهم فئةٌ من  
 اولئك الاعداء حال كونهم ليسوا الامنا وبلادنا بلادهم  
 واصلحنا صالحهم ودولتنا دولتهم وكلنا رعية واحدة لسلاطانٍ  
 واحد ليس بيننا الا كل ضارعٍ متضرعٍ الى الله ان  
 يؤازره بالنصر .

لقد يظهر للقاري مما تقدم ان المسيحي منا غير حاصل  
 على الامن والمساواة والمراد غير ذلك لان للمسيحيين في  
 البلاد العثمانية من الراحة والامن والمساواة ما لا ينكره الامن  
 كفر بنعمة مولاه أوسى في الارض فساداً وانما مصيبتنا  
 الجهل وحده دون سواه لان جهالنا كشار جداً - على ان  
 لحقائق الاسلام وأحكامه الشريفة رجالا يقومون بشأنها  
 وهم أعيان البلاد وادباؤها يوجدون في كل بلدة من ممالكنا  
 المحروسة . وهناك لاعمال هؤلاء الامثال مرآة يرى  
 فيها المسيحي العثماني جالساً في حديقة غناء نسيها عليل  
 وماؤها نمير لا يتعمى عنها الا المفسدون . وهو يفاخر بنعم  
 دولتنا العلية كل شرقيّ عنا لاحدى دول المغرب وذاق  
 من صنوف الذل أشكلاً ولكن ما العمل وجهالنا يصادروننا  
 على ماضى من أزمنة الجهل ويتصدون دون كل خير حتى  
 تضيعنا بسببهم في الشؤون الوطنية وطابت لنا مضاجع الخمول



متناسين ما كان لنا من سابق المجد الا لدى الفخفخة الباطلة  
فاننا نذكره والعجب ملء رؤوسنا .

هذا ولسنا لننقل من هذه المقالة مكتفين بذكر  
اولئك الذين اتخذوا الدين دليلاً على تكذيب العلم فمقتوا  
الحقائق وبغضوا التمدن راضين بالجهل - لان في بلادنا كثير ممن  
السيان قد جعلوا بعض قضايا علمية تعلموها سبباً لتهورهم  
في مهاوي الكفر فهم يتشدقون اليوم على قلة بضاعتهم  
يما صر على مسامعهم من المباحث العلمية التي لم تكن لتس  
جانب الدين المقدس بل لم يكن العلم كله ليزحزح عموداً  
واحداً من أعمدة الراسخة ولا عجب فاننا اذا سبرنا معارفهم  
الدينية لم نر هنالك غير الجهل والغباوة . ومن أغرب  
الامور ان نرى العلم اما عثرة يتوقاها الجهلاء واما آلة  
جهنمية تنقل مدعي المعرفة من مهد الايمان الى وهدة  
الكفر أليس هنالك حالة وسطى تحيط عندها رواحل الدين

والعلم معاً أم قدّر علينا ان لانجاري الغربيين الا في  
المضرات أليس الخليق بنان نتخذ حوادثهم السابقة نموذجاً  
يدلنا على الخير أم نضلُّ مصرين على الجهل وهو يتدرج  
بنا الى العتب بالدين شيئاً فشيئاً ونحن لاندري كما جرى  
على أولئك. ألا نخشى عاقبة الابتعاد عن مهد الايمان حيث  
نفقد التعزية الدينية التي يتعذر على الانسان تحمل نكد  
الحياة بدونها. اذا فقد الغربيون هذه التعزية فلداهم من  
خيرات التمدن ما يعزيهم ولكننا نحن مساكين فماذا لدينا  
ياترى. لقد تعود الغربي ان ينتحر اذا هو لم يجد لديه معزياً  
فهـل مرادك أنت أيها الشرقي ان تفعل فعله. مسكين  
أنت وأي مسكين لقد هورت بنفسك على ضعفك في  
بلاءٍ عظيم أليست تقوى الله خيراً لك وأبقى .  
والحاصل فلا بدلنا لاصلاح أحوالنا الدينية والدينية  
من الاخذ بحقائق الامور فاذا أخذنا بها علمنا علم اليقين



ان الدين ليس هو الا امرًا عملياً وهو القيام بالواجب نحو الله  
 ونحو الناس وان الدين والتمدن شيئان متفقان - هو ذا  
 الغربيون قد فُتتوا في دينهم ولكن أعمالهم لا تزال كما سبق  
 وقلنا غير خارجة عن الاوامر الدينية وهي تزداد اتجاهًا  
 نحو الفضائل بازدياد تمدنهم فهم من هذه الحيثية أفضل  
 منا بكثير خصوصاً وهم يأتونها عن ارشادات عقلية خالصة  
 لاخير والفضيلة بلا تكلف ولا خوف من عقاب أو انتظار  
 ثواب وانما لهم هنالك لذّة طبيعية يشعر بها من يسلك  
 بحسب مواجب الانسانية - تلك هي ثمار التمدن اليانعة التي  
 يأبى الكثيرون الا تحريمها جهالة وحماسة ويأبى الله الا جعلها  
 في عداد الطيبات التي أحلها لعباده .

## التمدن والشرق

مهما بالغنا في التمدنات الشرقية الغابرة وأطنبنا في  
 مديحها وقتنا بفضلها وفاخرنا عالم المغرب بها فلا يعد ذلك  
 الا من قبيل نسيبٍ عطلٍ يفاخر رجل الدنيا بأبيه أو بالحري  
 يفاخر رجلا بلغ بعزمه وحزمه من المجد والرفعة ذروة لم  
 يبلغها أبوه بل لم يرها حتى ولا في أحلامه . فالمفاخرة من  
 هذا القبيل ليست مما يعتدُّ به لانها نتيجة القعود على وسادة  
 بالية والقصور عن تحصيل مفخرة جديدة . فالاجل بنا ان  
 ننزع عنها حاسرين عن ساعد الجد في البحث عن هاتيك  
 المبادئ الصحيحة التي بها توصل الغربيون الى التمدن الاكيد  
 الثابت اعلنا نعمر عليها فنجنى المفيد ونجتنب المضر . ترى  
 ما الفائدة من مفاخرة ليس وراها غير الذل والانحطاط  
 وما الفائدة أيضاً من الاهتمام بمجاراة الغربيين والسعي وراء



الفلاح ونحن لا نعرف كيف نجاريهم ولا الى أي جهة  
نوجه مسعانا . أليس الاجدر بنا ان نبحث أولاً عن طريق  
النجاح ثم نقصده منها ونحن على يقين من الوصول اليه  
الامر الذي لا يتم الا بمساعدة الحكومة واتفاق الرعية  
حيث تهيأ اذ ذاك الاخذ فيه بيد واحدة قوية مطلقة لا  
يثنيا محذور ولا يعارضها معارض .

ولقد كان التمدن الشرقي يسمو ويرتفع حتى يبلغ معظمه  
ثم يأخذ بالانحطاط والاضمحلال بخلاف تمدن هذا العصر  
الذي يمكن الحكم ببقائه ما دام الانسان موجوداً . فلا  
جرم ان الاولين كانوا يجهلون حقيقة التمدن المتكفلة بثبوتها  
وانهم كانوا يأتونه من غير أبوابه ولا غروفان معارفهم الناقصة لم  
تكن لترشدهم الا الى حيث يكون النقصان . على ان  
ها تيك التمدنات التي أخنى عليها الزمان وطوت آثارها الايام  
خلوها من وسائط النمو والثبوت قد أرشدت الغربيين

الى الحقيقة فعرفوا بها الجهة التي يجب الاتجاه اليها في  
سبيل التمدن حفظاً له من الزوال اذ وقفوا باستقراء  
الحوادث الشرقية التاريخية على معرفة الاسباب التي  
أدت الى الصعود والتي افضت الى الهبوط فراعوا الاولى  
واجتنبوا الثانية . فهذا الاعتبار مع ما أخذوه عن  
تمدني المشرق المتأخرين يُقال بفضل الشرق على الغرب  
ولكنما الفضل الحقيقي الراهن لمن أخذ بحقائق الامور وعم  
فضله المسكونة وأتى بما لم يأت بمثله أحد غيره من العالمين  
ولامراء ان تمدن هذا العصر لم يسبق له نظير منذ  
خلق الله العصور وأوجد الانسان لانه قد رسخ على قواعد  
علمية ثابتة وحقائق أكيدة راهنة فأضحى جزيل المنافع  
وافراخيرات وهو على كونه كذلك وعلى ميل أهله لنشره  
وتعميمه صعب المراس فقلما يتأتى الانتفاع به لغيرهم بل  
كثيراً ما يضر بعض الامم . فيشترط الانتفاع بتمدن



سام منيع كهذا ان يكون هنالك استعداد يمكن من  
القبض على زمامه فان لم يكن هذا الاستعداد أفضى الى  
التأخر وقد يؤدي الى الانقراض . وليس الذنب في ذلك  
ذنب التمدن فقد شوهد أمم ضاهوا الغربيين في تمدنهم  
فجنوا ثماره اليانعة وفازوا بخيراته . وانما الذنب ذنب  
عدم القابلية للارتقاء وقد يكون ذنب التقاعد والاهمال  
على وجود القابلية لموانع تحول دون النهوض مما هو واقع  
علينا . فنحن اليوم نذم التمدن لانه قد أضر بنا كثيراً  
والصحيح انه نافع في ذاته غير ضار ولو لم يكن كذلك لاضر  
بأهله فما أشبهنا بمن يذم الزمان والعيب فيه

علي اننا ما دمنا مواصلين السير في خطتنا الحاضرة  
التي ليست من خطة التمدن في شيء وليس من وسعنا العدول  
عنها لاستيلاء الجهل علينا فقد يحسن بنا ان نقبح يوماً  
دخل فيه بلادنا اذ كان لنا غنى عنه كما كان لا بآبائنا . ولكن

اذا أمكن لنا السير في خطة التمدن الصحيحة رأينا ان هاتيك  
 السعادة التي كانت لآبائنا في مراتع الجهل ليست الا تعاسة  
 آزاء التمتع بحقوق التمدن وخيراته . فهذا الاعتبار يمدح  
 التمدن قوم ويذمه آخرون والتعيس من ذم لان من يذم  
 السعادة لعدم مقدرته على تحصيلها فهو تعيس بالطبع .  
 ولا نعجب لهذا فقد تفتح أبواب النفع وكثير من الداخلين  
 لا يقدرون على الانتفاع . فالتمدن قد أصبح اليوم عندنا  
 وعند اكثر امم المشرق منتشراً مبسوطاً كالرزق ولكن  
 ما كل ما كان كذلك هان نواله فمن الناس من لا يحصلون  
 على الكفاف من الرزق الا بشق الانفس ومنهم من يتعذر  
 عليهم ذلك فلا يرون الا دونه فيقضوا العمر ما بين الكدح  
 والكدم من جهة والعموم والا كدار من جهة اخرى  
 وآخرون قد يدفعهم الفقر حتى انك لتجد عيالاً يبيتون  
 على الطوى وليس في البيت كسرة خبز يأكلونها ويوجد



في هذه الايام التعيسة كثير من هذه العيال بين اولئك  
 المعروفين باصحاب الطبقة الوسطى الذين تأبى طباعهم مهما  
 ساءت الحال الا ان يجعلوا بينهم وبين الذئبة حجاباً مستوراً  
 ومن الضغط الفادح ان يخرج الواحد منهم الى السوق  
 مفكراً في أمر القوت وعليه منه وقر يحاكي الجبال فيجد  
 في طريقه من يستدعيه لدفع ما يعرف بالتمتع أو يطالبه من  
 قبل الطائفة بما كتب عليه مما يعرف ببديل مال العسكرية  
 عنه وعن اولاده الصبية الصغار الذين باتوا جياعاً - ولا  
 تقل يا هذا ان الدستور الهمايوني الذي نشر أعلامه جلالته  
 مولانا الخليفة لا يسمح بذلك اذ للتمتع نظام محدود ومال  
 الاعناق مفروض على جماعة مقندين على الدفع - لان  
 الحكام غير جلالته مولانا السلطان حفظه الله وجمعة بعض  
 الاغنياء في الاسواق اذا اضيف على الواحد منهم ريال أو  
 ريالان من مال الاعناق تزيد الطينة بلة - ترى من منا

يجهل ان جلالته وقاه الله شر أعدائه ماهر على راحة  
 رعاياه الامناء لم ينشر الوية المدالة في كامل أنحاء السلطنة  
 أو لم يصغ الى كل من شكاليه وتظلم أنسينا تعطفاته  
 واعماله الخيرية منذ تبوأ عرش الخلافة العظمى الى اليوم  
 أم تناسيناها بسبب الحوادث الاخيرة . ترى أي ملك  
 من ملوك المغرب تنصى عليه فئة من رعاياه وتظني ولا  
 تلقي هنالك مالمقي العصاة عندنا أيعصى العبد وولاه ولا يؤدب  
 على انه سواء كانت هاتيك الحوادث باصره كما تزعم فئة  
 منا وهو غير صحيح لما عهد في جلالته من التعطف والحلم  
 وطول الاناة أو عن ارتكاب اتاه الجهلة من الاهالي وهو  
 الاصح لحدوث مثل ذلك في بلادنا من قبل فقد نالوا  
 جزاءهم ولا لوم هنالك ولا تثريب - ولكن قل لي ناشدتك  
 الله هل أنت متمتع بنعم المدالة التي أسبغها عليك جلالته  
 مولانا ولي النعم أم هنالك رجال لا يعطون مجاناً كما أخذوا



فعلی م اذن لا تفقه عقولنا ان الحکام غیر جلالة مولانا  
السلطان الاعظم ذلك الذي اودع الله فيه من العواطف  
الشريفة والسجایا السامية ما يجعله تاجاً على هام الملوك - هذا  
ولترجع الى ما كنا بصدده فنقول

فاذا قابلنا بين اصحاب هاتيك الطبقات التي ذكرناها  
مع ما يتخللها من الحالات الاضافية ذوات الشظاف الى  
ادنى ما يكون وبين ذوي الطبقات العالية على اختلاف  
درجاتها ولا سيما اولئك الذين يسمو بهم السعي وراء الرزق  
في اوج الطبقات العليا حتى تغدو اشغالهم ابواب رزق  
يدخلها كثير من الناس للارتزاق . فالى أي شيء تنسب  
هذا الفرق في تحصيل الرزق والله قد بسطه في الارض  
لكل انسان أليس الى الاستعداد والواسطة معاً .

لاجرم ان حکم التمدن في الامم حکم الرزق في الافراد  
فحيث لا يكون استعداد مشفوع بالواسطة الفعالة فلا سبيل

الى التمدن . وعندى ان أمة لا تقدر على الانتفاع بمنافع  
التمدن خير لها الاستمرار على الجهل مدى الزمان وهي  
لا تشعر بما هنالك من الشقاء والتعاسة من ان تدخل  
نادي التمدن وليس من حظ لها فيه سوى الانخراط في  
سلك الخدم تعمل لاوائك المتصدرين فيه هذا اذا ساعدها  
الحظ والا لبثت هناك في العتبة بلا عمل - لان الانسان  
اذا استمر على القبيح ولم ير الحسن فلا يسوءه أمره ولا  
يشعر بقبحه وقد يعده حسناً ولكن اذا رأى الحسن  
بعينه ولم يقدر على اتخاذه بديلاً مما لديه من القبيح تنغص  
عيشه وذاق الموت ألواناً . وليس المراد هنا بعدم المقدرة  
قصور مداركنا عن تحصيل الحسن لان قوانا العقلية والحمد  
لله ليست بأضعف من التغلب على حقائق التمدن والانتفاع  
بمنافعه وانما المراد عدم وجود الوسائط التي بها يبرز الاستعداد  
من القوة الى الفعل وبدونها يظل هناك معطلا الى الابد



كانه لم يكن .

على ان للواسطة أهمية تربو على أهمية الاستعداد ألا ترى ان كثيراً ممن يناطح استعدادهم السحاب قد أغفلتهم قلة الوسائط حتى تركوا في زوايا النسيان يقضون أيامهم في العطلة والخمول وغيرهم ممن لا يصلحون للاعمال قد فنحت لديهم الوسائط أبواباً متنوعة من المصالح وهم في غاية النجاح - على ان الغفلة عن الاخذ بالواجب وبقاء أكثرنا على الجهل لمن الامور التي تحول دون الاستظهار على التمدن . فلو منحنا اليوم دولتنا العلية كل ما يمكن من الوسائط لتعذر علينا مع ذلك الاستظهار عليه وقد شوهد ذلك عياناً في الغربيين انفسهم لانهم لم يقتدروا على كبح جماح التمدن وركوب صهوته الا بعد ان هبوا من غفلتهم وجنحوا الى الحقائق بكييتهم نابذين كل عقيدة وخيمة وخرافة فاسدة تتصدى دون العروج في مصاريق التقدم .

وللضعف يدٌ قوية في استحالة ادراك النجاح فلا بد  
 للرعية الراغبة في التقدم والفلاح من الاخذ بأسباب العز  
 والمنعة خصوصاً اذا كانت مجاورة لامم اشداء يترصدون  
 ضعفها ولا يخفى ان لدينا ما لا ينكر معه الضعف فمن ذلك  
 ما نراه فينا من عدم الولاء والوئام ومن افراد كل منا  
 بمصلحته الخصوصية غير مبال بمصلحة غيره نجحت أو لم  
 تنجح وربما تمنى لها عدم النجاح أو سعى وراء ذلك واذا  
 عثر احدنا يوماً ترك شأنه بل قد يتكأ كما عليه الضاحكون  
 ولا يأخذ بيده الا من يزيدة عثرة ومن أغرب الامور  
 انك لا تكاد تجد في بلادنا عاتراً نهض والويل لمن منا  
 يسمي وزمام اشغاله بيد القوي فانه يغدو فريسة المطامع  
 تقلبه تلك اليد القوية كيف شاءت . على ان من رجالنا  
 الذين اتمتهم الدولة على حقوق العباد من ينظرون الى هذه  
 الامور بعين الغضب فيرفعوا الظلامه عن الضعيف ويقتصوا



من القوي - اما الصالح العام فقلما يوجد في بلادنا من  
 تحقق بهم رايته فعندنا المثقال الواحد من الصوايح الشخصية  
 لا تقاس به القناطير منه وربما بعناه بالمال ولا أسف وأما  
 التعاون وتأليف الشركات على أنواعها التي هي ينابيع الثروة  
 وأبواب رزق يدخلها كثير من الاهالي للارتزاق فمن  
 الامور الغير الملتفت اليها في بلادنا الان نادراً ولعلها على زعم  
 البعض متعذرة علينا من بعض الوجوه - على ان مالدينا  
 من التحزب الديني الباعث على انقسامنا هو البلة الكبرى  
 لهذه الطينة ولا حاجة الى الكلام فيه بعد ان ابنا اضراره  
 ومواقمها وانما نقول : اذا فرضنا ان ادياننا سوغت لنا  
 العدا وتباعد القلوب كما يوهم ظاهر تعاليمها ورأينا ان  
 احكام هذا العصر تقضي بالوثام والاتحاد فبأي الامرين  
 نعمل أيتدجج كل منا في شكته الدينيه ونظل في حرب  
 دائمة لاهدنة تخللها ولا صلح يقبها أم نسلك خطة

السلم ونوجه اهتمامنا الى ما فيه انتظامنا في سلك هذا العصر  
 الذي قد اشرقت فيه شمس التمدن والافق الشرقي لا يزال  
 مظلماً . السنا نعلم علم اليقين ان المسوغات الدينية ليست  
 بذات حكم يبنى عليه اثم الترك فكم أولى بنا ترك مسوغ  
 من هذا النحو خصوصاً وقد يمد تركه في هذا العصر  
 فضيلة قدّام الله . لاجرم ان الجهل قد بلغ منا مبلغه الاعظم  
 حتى لم نعد قادرين على معرفة الخير من الشر فعسى ان  
 يتداركنا الله برحمته ويهبنا عناية خصوصية تساعدنا على  
 تغيير اطوارنا وتحسين أحوالنا حيث يتحصل لدينا من  
 مبادئ التمدن ما يؤمل معه احراز العز والمنعة وكف اوتك  
 المترصدين عن التداخل في شؤونها . ولا بد لاقامة  
 حدود العدل الذي نشر اعلامه جلالة مولانا الخليفة والذي  
 هو أساس الملك ونظام البلاد وحياة الرعية من رجال  
 ذوات ذوي نزاهة يضحون بحياتهم على مذبج هاتيك



الحدود وفقاً للمقاصد الشاهانية .

واذ كان الشيء بالشيء يذكر رأينا ان نأتي هنا على ذكر عطف قتلو حسين حلمي بك والي ولاية آطنه البهية فانه والحق يقال قد جمع بين عدالة العمال في صدور الاسلام وبين أعمال أفضل العمال في مراکز الامم المتقدمة . وقد أخذ الركباز اليوم يروون أخباراً من هذا النحو عن حضرة دولتو ناظم باشا ملجأ ولاية بيروت الجليلة فلنا من هذين العاملين العظمين دليل قاطع على وجود أمثالهما بين رجالنا مما يبعث بنا على الافتخار ويحدو بالدولة الى الاهتمام بانتقاء الرجال . ولسنا لنسكت هنا أيضاً عن ذكر سعادة متصرفنا محمد ناظم باشا في مرسين فانه لرجل همام جدير بأطيب الثناء . نسأل الله ان يكثر من أمثال هؤلاء العظام لان بحسن ادارة الحكام عمار البلاد وراحة العباد . تقدم معنا ما دلّ على ان تمدن هذا العصر نافع في ذاته

غير ضار وان الاضرار التي لحقت ببعض أمم المشرق من  
 جرأه تسببت عن عدم القابلية للارتقاء أو عن موانع  
 غيرها كأنه هنالك وكل ذلك مثبت بالمشاهدة فهو غني عن  
 إقامة الأدلة عليه . على ان منثني هذا التمدن قد يسرهم  
 انحطاط الشرق غالباً رغماً عما نراه من اقبالهم على تنويره  
 ومنفعتهم بدليل انهم لا يريدون ان يروا فيه قوة تضاهي  
 قوتهم لما انه محط مطالعهم فهم من هذه الجبئية أعداؤنا  
 بل أعدا الشرق كله لان بدون القوة يتعذر الحصول على  
 التمدن - فكان مسعاهم وراء تنويره يمثل لنا عروس  
 التمدن بارزة بجمالها البديع حتى اذا شفقتنا حباً حالوا دون  
 الوصال فنحن في ذلك على نحو من قال

فيادارها بالحيف ان مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال  
 ولدينا عدا حيلوتهم من أحوالنا الداخلية مما صرنا بنا  
 ذكر شيء منه ما يربو على أهوال هذا الشاعر . على ان عدم



ارادة الغربيين بتقدم الشرق لا يمنع الشرقيين من الحصول  
 عليه اذا هم تجنبوا الاسباب المؤدية الى تداخل أولئك  
 في شؤونهم لاننا نعلم يقيناً انهم لا يخرجون عن الاحكام  
 الدولية فلا ينتظر منهم ان يعتقدوا يوماً على مملكة من ممالك  
 الشرق لغير سبب موجب . على ان اغراضهم المتباينة قد  
 تسند جانب هاتيك الاحكام فلا يتأتى الاعتداء لمن يرغب  
 فيه منهم لان بعضهم على بعض رقيب ولكن قد يمكن لدولة  
 رغبت فيه منهم ان تمت باصابعها الى حيث يلوح لها امكانية  
 ايجاد أسباب تستدعي الاعتداء والتداخل توصلها الى اغراضها  
 غير ان الذنب في ذلك ذنب الشرقيين انفسهم فقد آن لهم  
 ان يتعلموا - ترى ماذا يمنع مما لنا من قطع هاتيك الاصابع  
 بسيف جلاله مولانا السلطان القاطع سيف العدل والمساواة  
 أما ما يظن من ان الخيرات الشرقية قد كتبت للغربيين  
 فليس للشرقيين الا أقلها فغير صحيح لانه اذا أمكن لامة

شرقية الانتظام في سلكهم انتظاماً يخولها دفع كل مراقبة  
وتصدي ووفرت لديها معدات التمدن اقتدرت على  
الانفراد بالانتفاع من خيرات بلادها ولا حرج لان الذي  
يمنع المشاركة من الانفراد بخيرات اراضيهم انما هو  
قصورهم عن الانفراد ليس الا . وما قصورهم الا نتيجة  
الاهمال والتواني وعدم الاخذ بحقائق الامور . ولا  
سبيل الى القنوط من ذلك الا مكان فقد تقدم انه ليس  
بالامر المنوع لاسيما وليس بالعسير على رعية كبيرة نظيرنا  
نحن العثمانيين اذا نزعنا من بيننا الضعائن الدينية وتمسكنا  
بالمصيبة العثمانية سالكين سبيل الولاء والاخلاص نحو  
الدولة والوطن

أما مطامع الاوروبيين في الشرق فقد سلبتهم القسم  
الافضل من تمدنهم فتراهم عندها أشبه بالامم المتوحشة  
فهم يهرقون الدماء ويجرون الويل على العباد توصلوا الى



أغراضهم ولدينا أفصح ناطق بصحة ذلك الحرب الاخيرة  
التي شب لهيها بيننا وبين اليونان فقد كان في وسعهم منعها  
لو أرادوا ولكن أبت أغراضهم الا ان تطوق أعناقهم بدماء  
الشهداء منا ولسوف يجازيهم الله بما فعلوا والله خير  
الماكرين . ولا نعلم متى تنتهي هاتيك المطامع الملعونة  
فيتناهوا عن المنكر ويكفونا شرهم فان لم يتقوا الله ولن  
يتقوه فلا أقل من اتقاء العدل والانسانية اللذين هما أعظم  
دعائم التمدن الذي يدعونه والا فحسبنا الله ونعم الوكيل .  
على اننا لسنا نستغرب شيئاً من معدنه

لان همجية اسلافهم لا يزال لها أثراً في فطرتهم  
ولا عجب فان الزمان الذي مرَّ على تمدنهم لعله غير كاف  
لازالة الهمجية عنهم ازالة كلية . ولا يعترض على ذلك  
بفضائل الاميركيين لان تلك أمة قد تغلبت على الطبيعة  
وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . أما الذي يظهر لنا من

أعمالهم فهو انهم ينجحون الي ان يروا مثال الانسانية ممثلاً  
 على مراحح أعمال الشرقيين كما هي الحال عندهم فلا يرتضون  
 ان يروا في المسكونة مرسحاً وحشياً البتة خصوصاً في  
 الاماكن المجاورة لهم فان رأوا عمدوا الى القوة وقاوموا  
 أشد المقاومة - كل ذلك يفعلونه نصرة للانسانية . على اننا  
 لسنا بواقين ان كانوا أنصاراً لها حقيقة كما يدعون أو انهم  
 اتخذوها ذريعة لامتداد سطوتهم ونفوذ أحكامهم في الشرق  
 ولكن مهما يكن من ذلك فلا يضر الشرقيين التمسك  
 باهداب ذلك المثال البديع بل ينفعهم نفعاً عظيماً جداً فما  
 أحوجهم اليه وما أغناهم عن معلم يعلمهم اياه ويتهددهم  
 بغضبه انهم لم يحسنوا تعلمه . أليس الاجدرو والاجمل بهم ان  
 يقبلوا عليه من تلقاء انفسهم كسباً لقوائده وكفا لاولئك  
 المراقين فضلاً عما هناك من اكتساب الاخلاص الى الراحة  
 والسلام حيث ينصرف الوقت بجماته في سبيل التحسين



والاصلاح ونحوها مما يقويهم وينظمهم في سلك الامم  
المتمدنه وهم بآمن اذ ذاك من شر التحرش والتداخل .  
لا جرم ان الرعيه الجاهليه تجلب الشر على راعيها وتلقي  
البلاد في أسوأ حال حتى يتعذر اصلاحها فقد أفل بدر  
العصر التاسع عشر أو كاد ونحن لم نر حتى الآن مبدأ واحداً  
من مبادئ التمدن وأنى لنا ان نراه وعقولنا تحاكي الصخر  
الاصم في الغلظة . أليس السواد الاعظم عندنا يقولون  
دعونا على ما كان عليه آباؤنا فما أحلى العيش في ظلال الجهل  
وهم حتى الآن لم يدر في خلد هم ان ذلك الجهل قد  
اكتشفته أشعة العرفان فأصبح محلاً للذل والانحطاط  
- ترى ماذا ينبغي لاب ان يصنع من الوسائط التي ترقى  
باولاده في مراقب الفلاح اذا هو لم ير فيهم همه للطمح  
في طلب العلى أليس عليه ان لا يتجاوز في ترقيتهم درجة  
يخشى عليهم فيها من السقوط . وماذا ينبغي لدولتنا العليسة

ان تصنع وبأي وسيلة تتوسل الى ترقية رمية جاهلة لم تخلق  
الا للقلقل والمشاغب والتخريب فهل هنالك غير السعي في  
تثقيف العقول وتهذيب الاخلاق قبل كل عمل جديد.

ومن الغريب ان الجهل ضارب أطنا به عندنا في كل  
صقع ومكان حتى انك لتجده في المدن المزدانة بقبب  
المدارس وتلك ضربة ذريعة أشد فتكاً بالناس من الاوبئة  
ويالها في هذا العصر من عار. فلا جرم ان تعميم المدارس  
المجانية في كامل انحاء السلطنة وانشاءها على مبادئ العصر  
واكراه الاهالي على ادخال اولادهم اليها ذكوراً واناثاً  
عما لا واسطة لتقدمنا سواه. ذلك ما نلتسمه من مراحل  
دولتنا العلية فلعلها تنظر فيه بعين الاهتمام اذ لا تقدم لبلاد  
تغلب الجهل على سكانها فالتقائلون اليوم بوجود الاسراع  
الى ما فوق ذلك انما هم في ضلال مبين فليس اسراعهم  
الا تسرعاً الى الشر لمنافاته روح البلاد.



ولا يخفى ان الانسان غير مقصور على الاعمال المتعلقة  
 باحواله المعاشية بل له أيضاً أعمال أخرى خارجية تأتي بها  
 صفاته التي أودعها فيه الفطرة والتربية . فاذا رأيت انساناً  
 لا يأتي الا بالاذى فاعذره لانه لم يتعلم صنع الجميل فهو  
 مضطر بحكم الطبع الى عمل الشر ولكن لا تعذر تلك  
 التي ربه في أحضانها وهزت له السرير بمينها وظل ملازماً  
 لها يرى أعمالها ويسمع كلامها حتى يضع فخرج يعمل بما رأى  
 وسمع فان رأيت ان تعذرها فاحذر هداك الله ان تعذر بلاداً  
 أهملت تعليمها .

هذا ويوجد في بلادنا كثير من السفلة الرعاع منتشرين  
 بكثرة في كل مكان يفاخرون بالقتل والضرب والاذى  
 والرذيلة وليس من عمل لهم غير الجري وراء الفساد وتكدير  
 الراحة العمومية وأعمالهم المعاشية قلما تلهيهم عن القبائح  
 والنقائص لانها مقصورة على صنائع بسيطة وأعمال دينية

وربما كان أكثرهم يتعيشون من السرقة ونحوها من  
 الرذائل . وعندى ان هؤلاء الخثالة شر من أولئك المتعدين  
 القاعين في أوربا على ساق وقدم لان لأولئك قواعد تمشى  
 عليها أعمالهم وهي ولئن كانت غير حميدة فقد يرضيهم أقل  
 شي يقرب من غاياتهم ويحدو بهم الى السكينة زمنًا . وأما  
 خثالنا فهم قوم طغاة قد أطلقوا لانفسهم العنان منبعثين  
 في المعاصي يعضبون الله ويكدرون موارد الناس . فلا بد  
 لهؤلاء وأمثالهم من جهلاء البلاد الذين ليس من وسعهم  
 تعليم أولادهم من انشاء مدارس مجانية على نحو ما تقدم  
 لانها تتكفل بتهديبهم فتأتي بهم الى حظيرة السكون  
 والظرف حيث تتخلص البلاد من شرهم وأذاهم وربما  
 اذا نال بعضهم حظًا من المعارف تحول شرهم الى خير  
 فيعود عليها بالمنفعة .

ومعلوم ان تثقيف العقول وتهذيب الاخلاق وترقية



الآداب نتيجة التعليم الذي تتكفل به اليوم المدارس  
القانونية فما يفتح منها لهذا القصد النبيل على نفقة محبي  
الخير يعد من أفضل الاعمال الخيرية. ولا حاجة هنا لانهاض  
همة أغنيائنا لانهم قلال في بلادنا خصوصاً وان الاعمال من  
هذا النحو ليست من عوائدنا وليس بالغريب فاننا جميعنا  
كافة على رغبتنا في مجارة الغربيين في طياتهم لم يتحصل  
لدينا غير ما هنالك من الخبائث فنحن على حرمان من محاسن  
أعمالهم حتى من الاعمال الخيرية الجارية عندهم مجاري  
السيول - وهنا نذكرهم بما لهم علينا وعلى الشرق كله  
من الايادي البيضاء ولا سيما أولئك الافاضل الاميركيون  
الذين يعملون الخير في العالم لوجه الله

أما تعميم المدارس الاجبارية وانشاؤها على مبادئ  
صحيحة شريفة يقتضي بلانها اولاد العثمانيين على اختلاف  
الاديان والمذاهب فما لا نجاح بدون الشروع فيه باديء

بدء لان ثلاثة ارباع الرعية أو أكثر عاثون في ظلمة من  
الجهل حالكة يرشقون بعضهم بعضاً بالنبال الدينية ولدينا  
من نبال الدهر ما يزيدنا نبالاً على نبال. ولا صراء ان  
تركهم على هاته الحال التي يستحيل معها مباراة الامم  
المتمدنة التي نحن مضطرون اليها في هذه الايام مصيبة  
عظيمة ورزية جسيمة على البلاد لانها وخيمة العاقبة تعمسة  
المال. فان أمكن لنا ان نبذل احوال هذا الزمان بأحوال  
أزمنة آبائنا فلا بأس علينا ولا ضرر غير ما هنالك من تعاسة  
الجهل والا فقد آن لنا ان ننتبه من غفلتنا والسلام

هذا ولقد افترى الغربيون على الله كذباً اذ قالوا ان  
القرآن الشريف يوقف حركات التمدن وهذا القول ولئن  
يكن متعلقاً بفريق منا فان عاره عائد علينا جميعاً بالا استثناء  
لان من خضع لشريعة كان منها لا محالة فكأننا والحالة  
هذه كلنا مسلمون اذ ليس بيننا الا كل خاضع لاحكام



الشريعة الفراء . نعم ان أقوالهم من هذا النحو ليست مما  
 يعتد به لانهم قوم قد تركوا جانب الله وأنكروا الوحي  
 فأصبحوا لا دين لهم حتى صار يسهل عليهم ان يخلقوا  
 أقويل على الكتب المنزلة ولا حرج ولكننا عار علينا ان  
 نسمع ذلك القول ونطوي عنه كشحاً أنزل كتاب الله  
 الذي هو ينبوع التمدن هذه المنزلة ونحن عن التحلي بدرر  
 تعاليمه غافلون متى كان ذلك الكتاب موقفاً لحركات التمدن  
 وقد أوجده من العدم في من لم يكونوا ليعرفوا للتمدن  
 اسماً لولا . ألم تسطع هنالك الفضيلة وتحقق رايات العدل  
 والمساواة مما لا يقاس به هذا التمدن الحديث الذي يفاخرنا  
 به اليوم أهل المغرب والذي لو لم يكن مزदानاً بالحقائق  
 الراهنة لما عد في جنب التمدن الاسلامي شيئاً يذكر اذ قد  
 كان لذلك التمدن ويالهف الشرق عليه خصائص متناهية  
 في الفضل لن تأتي بمثلها طبيعة تمدن في العالم بعده - هذا

ولا يخفى ان لكل من ادياننا العظمى اركاناً خاصة به  
 كالاركان الخمسة الالهية التي بني عليها الاسلام غير ان هاتيك  
 الاركان ليست هي الدين كله لان هنالك تعاليم كثيرة  
 شائعة تزري باللؤلؤ والمرجان ولا يزدان الدين الا بها  
 فان نحن أغفلنا أمرها جعلنا كتب الله هدفاً للامم الغريبة  
 الذين لا يعرفونها لانهم يستدلون عليها بنا فتأمل .

اما وقد حان الفراغ من مواضيع الجمانة فكاني  
 بمنقذ متعنت يقف هنا وقفة الباحث عن العيوب شأن  
 الكثيرين في بلادنا . على انه لو نظر فيها بعين الرضى  
 لا بعين السخط لتبين له عرض الجمانة وأعجبه أمرها  
 وحكم بلزومها على علائها للوطن العزيز على انها لا تعدم  
 من ذوي الذوق السليم من يعرف قدرها . ولعمري ان  
 عرضها واضح بدليل انها اقتصرت على ذكر لزوم تعميم  
 المدارس الاجبارية في البلاد بدون ان تتجاوزها الى ذكر



ما فوق ذلك مما هو من الحاجة بمكان فهي لم تكن الا  
لايضاح اضرار الجهل فقط وعليه فقد جاءت بالصغير  
من ذلك وبالكبير معاً لانه موضوعها الذي انشئت لاجله  
أليس التنبيه على الاهم مما لدينا من الاضرار والاكتفاء  
بالاشارة الى العلاج الناجع من خير الامور.

وليعلم كل منا ان نبذ النعصب الوخيم الذي هو خير  
واسطة للتقدم والفلاح قد اضحى امره محتوماً علينا ان لم  
يكن لمراعاة مصالحنا الوطنية فلدفع الشر عنا فلا بد لنا من  
الاخذ فيه قبل كل عمل والا فالنبيق على ما نحن عليه من  
الجهل والحشونة متوقعين سوء المصير ولتقتصر كتابنا عن  
المناداة بالنهضة فانهم لا ينادون حياً .

### الخاتمة

متى آتيت ايها القاري على آخر الجملة فلا تعجب  
منها ولا تستغربها لانها لم تجئك بشيء غريب وانما هي

منك واليك فهي عثمانية وطنية قد نحت لك النصح .  
ولا تضعها حيث لا يعود يقع نظرك عليها لاني لم اجعلها  
صغيرة الحجم الا لتحفظها جيداً حتى ترسخ في ذهنك  
رسوخاً يحدوا بك الى العمل بمقتضاها . فما الفائدة ان تقرأها  
مرة واحدة ثم تغفل امرها مكسفاً بكونك قرأت الجملة  
فقد تقرأ كتباً كثيرة ثم تعدو كأنك لم تقرأها بل قد تقرأ  
كتابك المنزل الذي هو قاعدة سمادتك ثم تخرج الى  
السوق ودماغك قد فرغ مما قرأته فالقراءة اذاً لا تفيد  
بدون حفظ مقرون بالعمل . احذران تصنى الى من يعلمك  
بخلاف ما علمتك اياه الجملة لانه شرير يريد ان يجعلك  
حباله لاغراضه الشريرة فاحترزان تجعل نفسك آلة للاشرار  
بل احترزان تكون آلة لاغراضك الجائرة لانها تضلك  
عن الحق وما من شيء يعدل بك عن السراط المستقيم  
كالغرض - هو ذافئة قد قامت بيننا تدعي خدمة الوطن



وما غرضها الا البذاءة والتطاول على من لا يجوز ان تمس  
كرامته لانها مقدسة من الله فلو كان غرضها هاتيك الخدمة  
لاؤها من أبوابها أيعقل ان الخدمة الوطنية تقوم بمس  
كرامة الملوك وملء أعمدة الجرائد التي هي مرقة الادب  
والفضيلة باطالة اللسان وقبيح الكلام احذر يا هذا ان  
تعطي أذناً واعية لغير الصالح لان الفساد قد دب فينا .  
حافظ على آدابك الشرقية فاذا أضعتها لن تجدها لان بيننا  
قوماً يخفونها عنك . اتق الله جهداً لان تقوى الله معراج  
الفضيلة . احترم سلطانك لان الله قد ولاه عليك وادع له  
بالنصر وطول العمر لانه عزك وملاذك بمسد الله ادع  
للدولة العلية بالتأييد والبقاء لئلا تعيش تغيماً مستعبداً  
للأمم الغريبة . تمسك بتقوى الله لان بها يستجاب دعاؤك  
اذا أنت اقتصرت في أعمالك الدينية على هاتيك الفروض  
كالصلاة ونحوها فلا تتوهمن انك صرت تقياً لان تلك

ليست الا ديناً واجباً عليك كما اذا كنت مديوناً لزيد من  
الناس بمبلغ من المال وأي فضل لمن يوفي ما عليه . « خذ  
النفوس وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » لان هذا هو  
أساس التقوى . عامل الناس بالحسنى ما استطعت  
لان حسن المعاملة خير ما تذخره لنفسك ولا اولادك من  
بعدك ولا تقوى حيث لا قيام بالواجب نحو الناس . اصنع  
الجميل وافعل الخير مع كل انسان ولو عدوك لان ما من شيء  
ينزل بك الى حفرتك بسلام كالأعمال الحسنة . لا تنظر  
الى الناس والى أعمالهم بعين السخط لانك واحد منهم  
وما من أحد ينظر كذلك الا وهو شر من المنظور اليه . لا تفتش  
في غيرك عن خلة خفية تجعلها قذى في عينك لان الكمال  
لله وحده . فتش عما يأول الى اصلاح نفسك أتمادى  
يا هذا في المنكرات وتعير غيرك بما يعد بالنظر الى عيوبك  
فضيلة أنتظر البعوضة التي تحوم عليه ولا سبيل للتخلص منها



وتتغاضى عن الجمل الذي لديك وفي وسعك الابتعاد عنه .  
 قلع العين الشريرة أفضل من تفتيح عين الاعمى فاذا كانت  
 عينك كذلك خير لك ان تقلعها من ان تكون شريراً .  
 اجتنب الوقعة وأغض عن السيئة وسامح ما استطعت  
 لانك انسان كسائر الناس . لا تفعل كل ما يمكنك فعله  
 لان ما كل ممكن بلائق . لا تتناول في المعرفة على من  
 هو اعرف منك لان هذا هو الجهل بعينه . لا تكن  
 حكماً في دعواك لانك تحيد عن جادة السداد في أمر  
 نفسك . الناس مختلفون في الطبائع بحسب التربية  
 والتعود فتجد انساناً يظهر له الحق فيذعن له لانه تربى في  
 مهد الفضيلة وتجد آخر يحصص له الحق فينفر عنه ويعمد  
 الى المهارة وللعمء من دهره ما تعود . لا تفعل ما  
 يدل على سوء التربية كئلا ينفر منك الناس فتعيش بينهم  
 مبغضاً . ابتعد عن الشر واجتنب اسبابه واسع في الخير حتى

تكون ذا فضل محبوباً من الناس . اذا مرض ابنك او مات بهيمنتك فلا تعاد جارك بدعوى ان عينه فعلت ذلك لان الانبياء الكرام لم يعلموا بالاصابه لجمعها وسيله للشرب بل لمقاصد دينية اوضحها لك الجملة . اتحد مع ابن وطنك في الاخذ باسباب ترقية بلادك لان البلاد لا ترتقي الا بالاتحاد والتعاون . لا تترك ترقية بلادك للغريب لانه يقاسمك القسم الاكبر من خيراتها فتظل فقيراً . قدم صواح وطنك على صواحك الخصوصية لان البلاد لا ترتقي الا على هذا المبدء . لا تقل ماذا تهمني صواالح بلادي لانها اذا كانت منحطة تعيسة عادت عليك بالفقر مهما كنت غنياً فان لم تعد عليك عادت على اولادك اخدم وطنك بقدر جهدك لان من يخدم وطنه يخدم نفسه فان لم تجد هناك من فائدة لنفسك فسوف يجدها ابنك من بعدك وهي خير تراث تتركه له لماذا تعمرس شجراً بعيد الثمر تموت



ولا تراه بعينيك أليس لابنك . لا تنتظر من الحكومة  
 ان تخلق لك الفلاح مغنما بارداً تمد اليه يدك وانت قاعد على  
 وسادتك عاقماً رجلاً على الاخرى لان الهيئة الحاكمة لا تقدر  
 ان تأتي بفرع واحد منه والمحكومون قعود . شمر للعمل  
 عن ساعد الجد فهي تساعدك وتقويك بما لديها من  
 الوسائط لان أحب شي اليها ان تراك ذا هممة ونشاط  
 مثابراً على السعي وراء ترقية الصالح العمومي في الهيئة  
 الاجتماعية . انفر من التعصب كما تنفر من الافعى لانه هو  
 الذي أقعدك على تلك الوسادة التعيسة وقطع عن وطنك  
 حقوقه عليك . احترز من أن يفصلك عن ابن ووطنك  
 فاصل ديني لان لا سبيل لفلاحك بدون الاتحاد معه قلباً  
 وقالباً ابذ ياهذا كل اعتقاد باطل وخرافة فاسدة لان هذا  
 كله مضر بك في العقل والدين والشرف فيشينك بين  
 قومك ويجعلك تعيساً . كن أدبياً تقياً لان زينة المرء آدابه

وتقواه ولا فخر بغير الادب والتوى . لا تجادل من  
 كتابه منزل فان جادلته فجادله بالتي هي أحسن أي  
 بالاحترام والوقار وخوف الله لانه نظيرك فان كنت  
 تحسب لنفسك مزية عليه دينياً فهو أيضاً يحسب لنفسه  
 كذلك لان المرء مطبوع في حب دينه وعنده انه أفضل  
 الاديان كلها ولا أخالك تشك بذلك فعلى م اذن تفاخره  
 ويفاخرك أليس الابتعاد عن هذه المفاخرة أقرب للادب  
 والتقوى اللذين لا فخر لك بدونهما وقد قال الله تعالى  
 « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » . أقبل على ما في  
 كتابك من الادب الديني لانه فخر الدين وبهاؤه  
 أنقل أمر التحلي بهاتيك اللآي الزاهرة التي قد  
 رصع الله بها كتبه المنزلة وتماجد غيرك بالدين  
 وانت لست ممن يتمجد الله بهم ألسنت انت عنوان كتابك  
 عند من لا يعرفه فكيف يصدق تعظيمك له ومفاخرتك به



وانت عطل من حلاه افلاتن انه يستدل عليه بك . كن  
اديباً تقياً لان بغير الادب والتقوى لا يمكنك القيام  
بواجباتك نحو الله ونحو الناس . انظر في امر نفسك ودع  
كلا وشأنه في دينه لان الله سبحانه لم يقمك وكيلا له  
فانت ماذا يعنيك - هو ذا خليفة الله في ارضه وامينه في  
عباده قد نشر في ممالكه المحروسة اعلام التمدن المؤذنة  
بعدم المعارضة في الاديان وعنده اعززه الله ونصره ان  
رعاياه الامناء على اختلاف اديانهم ومذاهبهم سواء فهم  
عنده كالاولاد عند ابيهم فهلا اقتصرت يا هذا عن التداخل  
في مالا يعنيك وهلا صحوت من سكرة الجهل وكففت  
عن تخريب وطنك بيديك . اذا كان انبياء الله لم يقدروا  
ان يهدوا من احبوا بدليل قوله تعالى لنيه عليه الصلاة  
والسلام « انك لا تهدي من احببت » افتقدر انت ايها العبد  
البطل ان تهدي من احببته . اتق الله وهذب اخلاقك

ولطف ذوقك وكن ادبياً لان لاشي يقربك الى الله ويحبب  
 بك الناس كالادب والتقوى . ليكون دليلك على خشونتك  
 استثقال الناس بك فاذا شعرت بذلك فاعلم حينئذ انك  
 من أهل الخشونة . لا تسئل أحداً عن دينه ولا عن  
 شغله الا لامر يبعث على السؤال فان لم يكن هنالك  
 من باعث فالسؤال قبيح . لازم الادب والرزانة لانهما  
 فخرك وعنوان فضلك . تحمل نكبات هذه الحياة بالصبر  
 والشكر لان ديانا دارشقاء . لا تعارض أحداً في شؤونه  
 الخصوصية لانه ادرى بها منك وأخبر . احذر ان تستهويك  
 هاتيك الفتاة الفاسقة التي مثلها لك الغاوون بدعوى انها  
 وطنية وان هي الا غريبة متلبسة تقصد النزغ والافساد  
 على ان جلالة مولانا السلطان الاعظم حرسه الله اعقل  
 من ان يأخذ بشأنها وصاحب البيت ادرى بالذي فيه  
 فلو أصفى جلالتة لهاتيك الامور المغايرة لطبيعة البلاد



لكنت أكثر تخريباً لوطنك مما أنت عليه الآن . ادعُ  
 لمساعد الملك بالقوة ليظل قابضاً على زمام الاعمال بيده  
 والا فلاحوال تزداد تعاسة . ان رجالنا قلال فلينتبه  
 الغافلون ونحن انما جهال فليرعو الغاؤون . تمسك يا هذا  
 بأدائك الشرقية لانها خير ذخيرة لك أتأتي بالعوائد الغربية  
 الى أرض المشرق وهي لاتزال على طبيعتها الموروثة  
 عن الآباء والاجداد . لاتكن جاهلا لان الجاهل عدو  
 نفسه فكم أحرى ان يكون عدواً لبلاده . اطلب العلم  
 ما استطعت لان الجهل آفة الخير وليس من شيء في الدنيا  
 شراً من الجهل لاتكفر أهل العلم لان الدين شيء والعلم  
 شيء آخر . أقبل بفرح على الحقائق الدنيوية التي يكتشفونها  
 خير بني الانسان لانها سراج الحضارة والعمران . أنر عقلك  
 وروضه في مباحثهم العلمية والادبية لانك بدون الوقوف  
 عليها تكون أقرب الى الحيوان الاعجم منك الى الانسان

اشترك في الجرائد العلمية لانها خير ذريعة لنجاح البلاد.  
اشترك في كل جريدة وطنية أدبية لانها وسائط التقدم  
والفلاح أتبخل على من يأتيك بأخبار العالم الانساني  
وآدابه وفنونه من أقصى المشارق والمغارب بدراهم قليلة  
أقبل على مباحث العلماء والفلاسفة الا ماتراه منها متعلقاً  
بأصل الانسان وكنه عقله لان المباحث من هذا النحو  
مضرة بك دينياً فأعرض عنها كل الاعراض - لقد جاء  
في التوراة ان الله خلق الانسان على صورته ومثاله فهل  
من شبهة في ان محاولة الوقوف على كنه عقل الانسان  
كمحاولة الوقوف على كنه الباري تعالى . حافظ على معتقداتك  
الدينية كل المحافظة لانها سعادتك في الدارين لاتعلق  
أعمالك الدنيوية بالدين لان كلا منهما غير الآخر فلك ان  
تعمل في دنياك كل ما تشتهي وتريد بشرط ان يكون  
دستورك تقوى الله . لاتقف بجهلك في سبيل المنافع



الوطنية ولا تدع غرضك يقف في سبيل الحق لان هذا  
 كله يفضب الله والناس . اقتصر على الحسن من عوائد  
 هذا العصر فقد مر بك ان هنالك اضرارا كثيرة لا تحتملها  
 احوالك الحاضرة وهب ان لديك ما يحتملها فالاولى لك  
 تركها لانها تعضب الرب . اتخذ ماضى من حوادث  
 الغربيين في سبيل تمدنهم مثالا يدلك على اجتناء المقيد  
 واجتباب المضر كانك خارج من مدرسة للتمدن فتحصل  
 عليه اذ ذاك حصول خبير مجرب بلا تعب وتظل عقائدك  
 الدينية محفوظة . اجتهد ان تكون متمدنا لان التمدن يفرس  
 فيك الفضيلة ويقيك مما يشينك . لا تبخس المرأة حقها  
 الانساني لان الله قد خلق الانسان ذكرا وانثى فالرجل  
 انسان والمرأة انسان فكلاهما سبيان . لا تلق على عاتق  
 امرأتك الاخذ بأسباب الاتفاق كله وتجلس أنت جلوس  
 الامر الناهي فان فعات فليس هنالك بملاوا أهلا بل سيداً

وأمة . خذ معها بأسبابه لأنها ليست هي وحدها مسؤولة  
 عنه الا اذا كنت من القوم الظالمين . فضل تعليم ابنتك  
 على تعليم ابنك لأنها غرسة الثمر الانساني واحذر ان تسلم  
 أمر تعليمها لمن لا تؤانس فيه كمالان عين التلميذ معقودة  
 بعين معلمه فالحسن عنده ماصنع والقيح عنده ماترك  
 اتخذ مثال الغربي في طبياته واحذر ان تدنو من خبائثه  
 لأنها مييدة لك . دع معاقره المسكرات لأنها تضربك  
 عقلا وجسداً ومالا وأدباً ودينياً . لاتسل عن صفات  
 السكير لانه لا يكون الا عطلاً . لاتكن كذاباً لان الكذب  
 شيمة اللثام . الزم الصدق في كلامك ولو مسك منه الضر  
 فان ضرك مرة نفعك مراراً . اذا كنت غنياً فاجتنب  
 البذخ في المصرف لان بذخ الغني ينغص على الفقير عيشه  
 وما يدريك عاقبة هذا التغيص . اذا كنت ذا كف نديه  
 فحول نداها الى عمل الخير لان هذا هو البذخ الحقيقي



المقبول عند الله والناس . ليس المال الذي يزيد عن  
 حاجات المعيشة عند من عرف حقائق الامور الا لا يتباع  
 المفاخر السامية . تقتنى الفضيلة بالبحث عنها والمشاركة  
 على طلبها ولكن المفاخر لا تقتنى الا بالمال . ليس البذخ  
 والترف من الفخر في شيء . التبذير والبخل كلاهما عار .  
 الكرم الحقيقي هو ما اتجه بجملمته الى منفعة بني الانسان  
 اذا جادت كفك ببذل الدينار في ما هو فوق حاجات  
 الحياة فابذله في السبيل الذي يأمر به العقل وحب القريب .  
 اذا حبست مالك عن منفعة المعوزين ولم تبذل رمق الظمان  
 والماء ملء حوضك فانت اذ ذاك بخيل لثيم . ليس من  
 رذيلة في العالم توازي البخل لانه رذيلة كبرى . الرجل  
 الكريم يقرض الله قرصاً حسناً . ويخلد لنفسه ذكراً  
 جميلاً أما البخيل فهو عدو الله وعدو الناس ويكون  
 مبغضاً حتى من أهل بيته . يلد المرء جمع المال ولكن

بذله في سبيل الخير الذي عند من يعرف واجباته نحو  
الانسانية . توكل على الله في أمورك وأعمالك كلها لان على  
الله قصد السبيل

### تذييل

لقد يظهر لمن يقرأ الجملة ان ليس بيننا افضلية دينية  
وانا جميعنا على اختلاف ادياننا سواء . والواقع غير ذلك  
لان القول بالافضلية لاحد ادياننا العظمى امر واجب  
دينياً لامناص منه ولكن لما كان كل فريق منا يعزو الافضلية  
اليه وهو مدفوع الى ذلك بطبيعة دينه لم تر الجملة بُدأ  
من ان تبيء بما جاءت به مراعاة لموضوعها الذي لم يكن  
ليتخطى حدود الاحكام الوطنية خصوصاً وان العقل البشري  
يعجز عن ادراك الحكمة الالهية التي دبرت هذا الخلاف  
الديني الواقع بيننا . على اننا اذا تتبعنا الاحكام الدينية على



نحو ما هو مقرّر في عقولنا مع قطع النظر عن الغرض نجد ان  
 الافضلية كأنّية في ما تأخر مجيئه من أدياننا اذ لا يصح ان  
 يأتينا نبيٌّ بشريعة أقلّ افضلية مما أتى به نبي قبله  
 لاننا نعتقد بحسب ما تعلمناه وتسلمناه عن آبائنا وأجدادنا  
 الذين درجوا قبلنا على رجاء القيامة العامة ان شرائع الله  
 المقدسة تدرجت نحو الكمال شيئاً فشيئاً حتى بلغت مبلغها  
 الاسمى بعد اذ كانت زمان نوح وأيام الخليل عليهما السلام  
 في غاية البساطة . فبحسب هذا الاعتقاد العام يلزمنا  
 القول بانها بلغت الكمال بواسطة من كان من الانبياء  
 خاتمهم والا لزمنا ان ننكر التدرج المنوه عنه وفي ذلك  
 ما فيه من الضلال - على ان المسيحي يعتقد ان الكمال الديني  
 وقف حيث الديانة المسيحية ولعل الحقيقة غير ذلك . على  
 ان الكمال قد لا يخلو ان يكون وقف هنالك من حيث  
 الادب الديني لان الديانة المسيحية ليست في نفس الامر

الاشرية أدبية خالصة تكاد من هذه الحيثية ان تكون  
 فاقدة النظير . وأما من حيث التوحيد الالهي ووفرة  
 الاحكام الدينية فالكمال متجه بجملة الى الاسلام مما  
 لاشبهه فيه . والذي يتدبر التعليم الانجيلي لا يجد هنالك  
 مانعاً يمنع من الاعتقاد بصحة الرسالة الاسلامية البتة  
 خلافاً لما يتوهمه المسيحيون بل قد يوجد ما يؤذن بصحتها  
 وفي رؤيا يوحنا نبياً واضح لا يتخلله شبهة الا اذا حال  
 الغرض دون الموضوع هذا فضلاً عما جاء به اشعيا وغيره  
 من انبياء بني اسرائيل لان من نبواتهم عليهم السلام  
 ما يشير الى غير السيد المسيح مما ينطبق على حال من  
 جاء بعده كل الانطباق . ولا يخفى ان الديانة الاحمدية  
 قررت تكذيب كل ديانة تظهر بعدها وأوضحت بنصوص  
 جلية ان صاحب رسالتها عليه الصلاة والسلام خاتمة  
 الانبياء وآخر المرسلين ولكن لو بحثنا في التعاليم المسيحية



عن نص صريح يؤذن بما آذنت به الاسلامية لما وجدنا  
 سوى ما هو مذكور في الانجيل من مجيء مسحاء كذبه  
 مما اقتضاه الاعتقاد بمجيء السيد المسيح ثانية حتى لا يقوم  
 بعده من يدعي ذلك المحيي متحلاً اسمه وان وجد هنالك  
 غير ما ذكرنا فليس مما ينبغي صدق النبوة عن حضرة  
 صاحب الرسالة لعدم انطباقه على حالته الشريفة عليه الصلاة  
 والسلام . على ان عقلاء المسيحيين لا يرون في الاعتقاد  
 بصحة الرسالة ما ينافي دياتهم اذ ليس فيه ما يخرج المسيحي  
 من مسيحيته كما يزعم الجهلاء خصوصاً وان عدم تصديق  
 رسالة دينية عظيمة كهذه مما ينفر منه الطبع الديني ويأباه  
 الذوق السليم الا اذا أجمع الناس على انكار الوحي والعياذ  
 بالله . وعندني ان عدم الاعتقاد بصحة احدى ادياننا العظمى  
 يفضي الى عدم الاعتقاد بالكل على ان هذا مشاهد عياناً  
 فاننا لانكاد نجد مسلماً واحداً عابثاً بالدين حتى نجد ازاءه .

عشرة وعشرين من المسيحيين لان من يتقرر في ذهنه  
 تكذيب ديانه عظيمه حقيقيه صادقه سهل عليه يوماً ان  
 يقبس ديانه عليها لاقبل منه يدعو الى الاستخفاف بالدين  
 خصوصاً في هذه الايام التي قد وفرت فيها أسباب  
 الاستخفاف . ولعل الاكثرين من المسيحيين يجهلون  
 هذه الحقيقه وربما ضحك بعضهم منها عند سماعها ولكنهم  
 لو أدركوا حقائق الاديان العظمى وما بينها من العلاقات  
 والروابط الكليه حتى كأن هنالك سلسله طبيعيه مستكملة  
 حلقاتها لحكموا بوجوب الاعتقاد بانبياء الله كافة لانه  
 أحفظ للايمان بالله وأسلم للشرف الديني - والحاصل فان  
 ليس من غرض الجمانه الحوض في هذا الموضوع الذي  
 أوصلنا اليه ذكر الافضليه كما وان هذه أيضاً ليست من  
 غرضها وانما غرضها وجوب الاغضاء عنها لان الفخر الديني  
 بالآداب والتقوى ليس الا . ولا يخفى على البصير ما كابدته



الجمانة من التعب والعناء حتى تمكنت من افراغ موضوعها  
 المتعسر في قالب وطني مألوف يرغب فيه كل عثماني ويعدّه  
 من اشياءه . وهي ولئن تكن من فضلات الافاضل فانها  
 خرجت من عالم الغيب خروج العذراء من خدرها لاسيما  
 وقد كساها الاخلاص حلة لم ينسج على منوالها قط

﴿ تنبيه ﴾

قبل أن ينجز طبع هذا الكتاب اطلع عليه كثير من  
 الادباء فراق لهم ما حواه من الفصول المفيدة وأعجبوا بحضرة  
 مؤلفه وبموضوع كتابه فقرضوه ومدحوه . ولم أرا الا  
 اثبات ما جادت به قرائحهم معتدرا الى من لم تدرج تقاريفهم  
 لضيق المقام وأظني قت بواجب الخدمة نحو حضرة  
 المؤلف الفاضل الذي لم يطلع على هذه التقاريف لبعده

الدار بيتنا فان اصبحت في خدمته فحسبي

اسكندر آصاف

﴿ قال حضرة الحسيب النسيب الكاتب الفاضل  
والشاعر المطبوع مالك اذمة الادب من طار صيته في  
الحافقين عزتو محمد ولي الدين بك يكن الافخم ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله صلى

الله عليه وسلم وعلى جميع اخوانه الانبياء والمرسلين وعلى  
الآل والصحب والتابعين . فان أكثر احداث الشرق أنت  
بالتعصب الديني الذي جعله بعض البسطاء معواناً على  
التغريب واصطياد الفوائد حتى القيت العصى بين أولي  
الارحام وتمشى الشقاق في أوصال الممالك المتوائمة والمتجاورة  
فسرت النفرة بين الشعوب والقبائل الى ان خفيت



العواقب وخشيت الخواتيم فينا نرى الحمدي يتودد الى  
 المسيحي والآخر يتجنب الى الاول اذ ابتعد كل منهما  
 عن صاحبه وأجفل منه اجفال الطريدة من صيادها وذلك  
 ظناً بأن الاديان تفرق ما بينهما وتأمرهما بعداوة بعضهما  
 وساء ذلك الظن فقد رأينا في صدر الاسلام وهو في  
 ريق شبابه ومقبل صباه كيف سالم المسلمون غيرهم وفي  
 مخاللة النبي صلى الله عليه وسلم للنجاشي والمقوقس عظة  
 ناطقة وقدوة حسنة وكنا نحبان يعرف أبناء هذا العصر  
 المستنير أفقه بشمس الحضارة الآهل ربه بأوانس المدينة  
 ما سبق اليه القول فانالنا الدهر وسقياله ما كنا نحبه فنهض  
 من خيرة شباننا قوم من أولي البراعة والفصاحة والعقل  
 والنبيل يبينونه أوضح التبيين فأفادوا الجامعة نعمة الارتباط  
 والاتحاد جزاهم الله خير الجزاء فبهم تسعد الاوطان ويتجدد

الاخوان ولقد اطلمت على كتاب {الجمانة العثمانية} وكفى  
 بالاسم دلالة على المسمى فاذا بها بيت القصيد لكل ما قيل  
 في هذا الباب بل اليتيمة العصماء لكل ما نظم من القلائد  
 فيه جمعت الى رقة العبارة دقة الاشارة والى نزاهة القول  
 جزالة نمثلها مثل الحكيم في صمته ونطقه وبعده وقربه  
 نغني عن الكد في الاستطلاع والسعي في الاستكشاف  
 فشكراً لمؤلفها المفضل البارع { جرجس افندي خولي }  
 الذي خدم الجامعة العثمانية بكتابه هذا اجل الخدمة واسماها  
 انه جدير بكل ثناء خليق بكل مديح حري بكل تبجيل  
 أكثر الله من أمثاله ووفقه لتعزيم مؤلفه بأخر وآخر  
 وهكذا حتى تنفجر ينابيع فكرته أنهاراً يرتوي منها المصادر  
 والوارد ماذر شارق وترنم طائر ان شاء الله تعالى  
 ولي الدين يكن



وقال حضرة العلامة المفضل الشيخ محمد بيومي

الازهري الافخم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على أشرف الانبياء والمرسلين من بعث بالملة السمحاء والمحجة البيضاء. القائل وهو الذي لا ينطق عن الهوى انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرء ما نوى وعلى آله واصحابه من حضوا على الوفاق والوأم. ونشروا في الارض أعلام العدل والسلام « اما بعد » فقد اطلعت على هذا الكتاب الموسوم « بالجمانة العثمانية » فالفيتة منه لا يعذب وروده. وروضاً تفتحت على أغصان الفضيلة وروده. داعياً الى الوفاق ناهياً عن الشقاق. منطبقاً على ما يريد الله من عباده.

من التجارب والتوادد على مقتضى هديه وارشاده . فان استعمال  
 التعصب الذميمة . مخالف لما جاء في شرعه القويم . فقد قال  
 تعالى في كتابه الحكيم « ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي  
 بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » وقال تعالى « ومن  
 أصدق من الله قيلا . قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم  
 بمن هو أهدى سبيلا » والآيات في ذلك كثيرة . والاحاديث  
 . آثار مشهورة . فان الاتحاد أساس العمران . والتفرق أصل  
 الخراب والخذلان . فجزى الله مؤلفه أحسن . ما يجازى به  
 المخلصون وأثابه بما يثاب به الناصحون الصادقون . انه ولي  
 النعمة . وله الفضل والمنة

كتبه

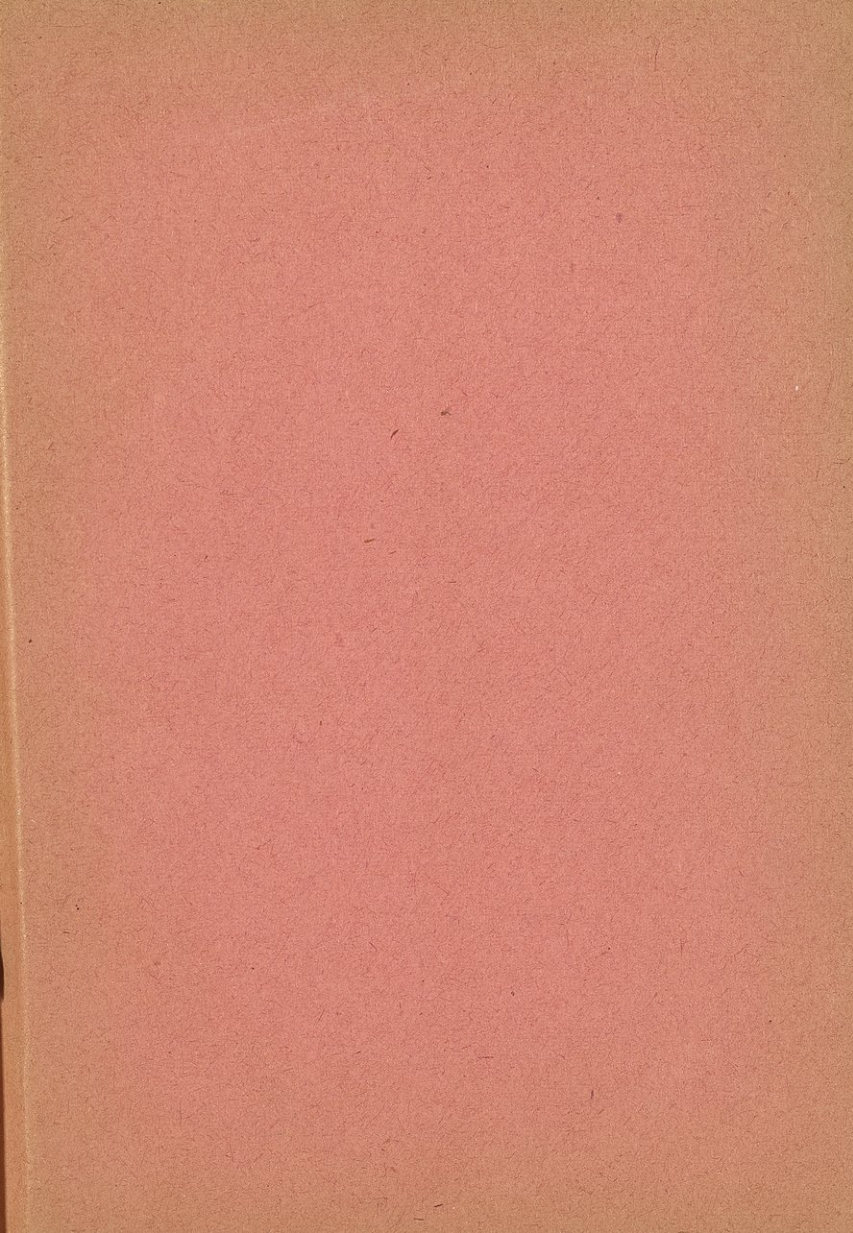
الفقير اليه تعالى

محمد بيومي

الازهري















DT  
100  
•K48



COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU06990371

